الصوت
ودلالته في القرآن الكريم

إعداد

د. أحمد محمد علي المصري

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة والتحرير

أ.د. كامل محمد جاهين إسماعيل

أستاذ الحديث وعلومه
وعميد كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د. حسن إبراهيم مصطفى

أستاذ الحديث وعلومه المساعد
ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير

د. أحمد فكري صديق

مدرس الفقه العام بالكلية

أعضاء مجلس الإدارة

أ.د. أحمد الأمير محمد جاهين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

د. حمدي محمد ضيف حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

د. سامي خميس بهنسي

مدرس أصول الفقه بالكلية

د. محمد رمضان

مدرس أصول الفقه بالكلية

الهيئة الاستشارية

أ.د / طارق عثمان الرفاعي إبراهيم

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب
جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية

أ.د/ بلخير طاهري الإدريسي

أستاذ أصول الفقه بجامعة وهران ـ بالجزائر

أ.د/ أحمد عبد العزيز السيد سليم

أستاذ أصول الفقه بجامعة البحرين ـ بالبحرين

مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد السادس - إصدار ديسمبر ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

الترقيم الدولي : ISSN 2812-5266

موقع المجلة https://fisb.journals.ekb.eg

الصوت ودلالاته في القرآن الكريم

أحمد محمد علي المصري

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، أسيوط جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmed.elmasry@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث (الصوت ودلالاته في القرآن الكريم) استعمال القرآن الكريم جملة من الألفاظ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، ليستوحي دلالاتها من حسن صياغتها، فكانت دالة بذاتها على ذاتها .فإذا كانت مادة الدلالة اللسانية هي الصوت اللغوي فإن الصوت اللغوي ينطلق أساسا من دلالته علي المعاني التي انتدب لبيانها والتعبير عنها وتصويرها؛ فالدلالة اللغوية منطلق صوتي , والصوت اللغوي منطلق دلالي . وقد جاء المستوى الصوتي للإنسان في القرآن الكريم على درجتين مختلفتين قوة وضعفا ارتفاعا وانخفاضا. فالمستوى الأول هو المستوى الصوتي المرتفع ويشتمل على الصراخ بمشتقاته، والمكاء والتصدية، والجأر والتأوه وغيرها فدلالة التعبير الصوتي بهذه الأصوات يعتبر شرحا وافيا معبرا عن المقصود، أما المستوي الثاني وهو المستوى الصوتي المنخفض ويشمل الهمس والتخافت وغيرها في آيات عديدة توضح المقصود بدلالة وصفية بالغة التصوير عميقة التأثير في المواقف التي تستلزم خفض الصوت وعدم رفعه. وهناك أصوات لغير الإنسان لها دلالة على قيام الساعة مثل الصاخة والصيحة أو مقدمات لنتائج مثل الصاعقة أو أصوات يشترك فيها الإنسان وغيره مثل الشهيق والزفير وغيرهما. وعلى ذلك فالجانب الصوتي في القرآن الكريم عنصر أساسي في غاية الأهمية لا يمكن الاستغناء عنه في استنطاق وفهم النص القرآني المحكم واتخاذه أداة تفيد المفسر في التحليل والتفسير والتأويل. ومن أهم النتائج والتوصيات في البحث:

- الاتصال البشري ضرورة إنسانية واجتماعية بين الناس، لأن الإنسان له من الحاجات والرغبات التي لابد من تحقيقها وذلك يكون بالتواصل فيما بينهم.

- أول وسائل الاتصال الإنساني الاتصال الناطق (الكلام) وهو الاتصال الذي يكون عبر استخدام الكلمات المنطوقة والألفاظ المفهومة بين البشر.
- الصوت هو العنصر الأول من وسائل التواصل الاجتماعي، وهو الوسيلة الأولى في التعبير عن المواقف والانفعالات والعواطف.
- إذا كانت مادة الدلالة اللسانية هي الصوت اللغوي فإن الصوت اللغوي ينطلق أساسا من دلالته علي المعاني التي انتدب لبيانها والتعبير عنها وتصويرها؛ فالدلالة اللغوية منطلق صوتي، والصوت اللغوي منطلق دلالي.
- استعمل القران الكريم جملة من الألفاظ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، ليستوحي دلالاتها من حسن صياغتها، فكانت دالة بذاتها على ذاتها.
- جاء القرآن الكريم موضحا الدلالة الصوتية لكل صوت فهي معبرة عن حالة المتكلم في إنتاج الدلالة التصويرية التي يعجز عنها البشر.

الكلمات المفتاحية: الصوت، المنطق، الدلالة، القرآن الكريم.

Sound and its connotations in the Holy Quran

Ahmed Muhammad Ali Al-Masry

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Assiut, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: ahmed.elmasry@azhar.edu.eg

Abstract:

This research (Voice and its Connotations in the Holy Qur'an) deals with the Holy Qur'an's use of a set of words, then it chose their sounds in proportion to their echoes, to draw inspiration from their connotations from their good wording, so they were indicative of themselves. If the material of tongue connotation is the linguistic sound, then the linguistic sound essentially proceeds from his indication of the meanings that it was assigned to clarify, express and depict as Linguistic connotation is a phonetic starting point, and linguistic sound is a semantic starting point. The human voice level in the Holy Qur'an comes in two different levels: strength and weakness, high and low. The first level is the high vocal level and includes shouting with its derivatives, whistling and applause, bellowing and moaning, etc. The significance of the vocal expression in these sounds is considered a sufficient explanation that expresses what is intended. As for the second level, which is the low vocal level and includes whispering, fading, and other things, in many verses explain what is meant with a very descriptive and profound descriptive meaning influencing situations that require lowering the voice and not raising it. There are non-human sounds that indicate the Hour of Judgment, such as a scream and a shout, or preludes to results such as a thunderbolt, or sounds in which humans and others participate, such as inhaling, exhaling, and others. Accordingly, the phonetic aspect in the Holy Qur'an is a fundamental and extremely important element that cannot be dispensed with in interrogating and understanding the precise Qur'anic text and using it as a tool that benefits the interpreter in analysis, interpretation and interpretation. Among the most important results and recommendations in the research:

- Human contact is a human and social necessity between people, because man has needs and desires that must be achieved and that is by communicating with each other.
- The first means of human communication is speaking communication (speech), which is communication that is through the use of spoken words and understandable words between humans.
- Voice is the first element of social media, and it is the first means of expressing attitudes, emotions and emotions.
- If the material linguistic significance is the linguistic voice, the linguistic voice proceeds mainly from its indication of the meanings that were assigned to the statement, expression and portrayal;
- The Holy Quran used a number of words, and then chose their sounds in proportion to their echoes, to be inspired by their connotations of good formulation, so they were self-functional.
- The Holy Quran came explaining the phonetic significance of each sound, as it expresses the state of the speaker in the production of the pictorial significance that...

Keywords: Sound, Logic, Connotation, The Qur'an, The Holy Qur'an.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوي، والذي قدر فهدي، خلق الإنسان، وعلمه البيان بفضله العظيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وإمام الحق سيدنا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي بلغ الرسالة، وأدي الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين. وبعد.....،

فإن القرآن الكريم أفضل كتاب عرفته البشرية، وأحكم لفظ علمته الإنسانية، فهو يخاطب القلب فيخشع، ويخاطب السمع فينصت، ويخاطب العين فتدمع، ويحاور العقل فيتدبر، بل تعدى مفعوله الآخذ إلي الجن فاعترفوا وقالوا {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ١، ٢] فهو الدليل الأسمى للإنسان في سيره ومسيرته، وهو المنهج الأقوم الذي تستقيم به الحياة، وهو الحجة البالغة الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد} [فصلت: ٤٢]

خلق الله آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بيده، وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، وعلمه اللغة التي يتواصل بها مع زوجه وبنيه؛ ومن هنا ندرك أهمية الاتصال البشري. والقرآن الكريم يقرر أن الله خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتفاهم والتواصل قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] فالناس على اختلافهم شعبا وقبيلة ولغة ولونا أوجدهم الله للتعارف وتبادل المنافع بكافة أنواعها، ونقل الخبرات في كافة المجالات ولا يمكن ذلك إلا بوسيلة للتواصل والتفاهم فيما بينهم.

وعلى ذلك يكون أول وسائل الاتصال الإنساني الاتصال الناطق (الكلام) وهو الاتصال الذي يكون عبر استخدام الكلمات المنطوقة والألفاظ المفهومة بين البشر.

"وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى

شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلًا من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها. (١)

و"الكلام" عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات، اصطلح الناس على اعتبارها، أو على اعتبار مجموعات منها، رموزا لمعان خاصة (٢).

فإذا كانت مادة الدلالة اللسانية هي الصوت اللغوي فإن الصوت اللغوي ينطلق أساسا من دلالته علي المعاني التي انتدب لبيانها والتعبير عنها وتصويرها؛ فالدلالة اللغوية منطلق صوتي، والصوت اللغوي منطلق دلالي.

والصوت هو العنصر الأول من وسائل التواصل الاجتماعي، وهو الوسيلة الأولى في التعبير عن المواقف والانفعالات والعواطف، وقد استعمل القران الكريم جملة من الألفاظ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، ليستوحي دلالاتها من حسن صياغتها، فكانت دالة بذاتها على ذاتها.

"ثم إن الأصوات، أو الصرخات الغريزية، لا توجه إلى أحد،....، فهي تحمل "معنى" إلى الذهن المدرك. وهكذا فاعتبار الصرخات غير الإرادية المعبرة عن الألم مثلا، والتي تمثل بـ "أوه" رمزا كلاميا حقيقيا مساويا لفكرة مشابهة مثل "إني لفي ألم شديد" هذه الملاحظة. ملاحظة أننا تحت وطأة الانفعال ننطق بأصوات لا إرادية يرى السامع أنها دالة على الانفعال نفسه " (٣)

جاء القرآن الكريم موضحا الدلالة الصوتية لكل صوت فهي معبرة عن حالة المتكلم في إنتاج الدلالة التصويرية التي يعجز عنها البشر، ثم إن الأداء الصوتي يدل دلالة واضحة على حالة المتكلم فبين الحالة النفسية والصوت مناسبة واجبة وملازمة تامة، ويستطيع الإنسان التحكم في صوته أثناء الكلام، إما برفعه أو خفضه مراعاة

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص: ٢٧)
(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د محمود السعران (ص: ٨٤)
(٣) السابق (ص: ٥٣)

للموقف أو إيصال الرسالة الاتصالية عند المتلقي أو إضافة معنى زائد على مضمون الرسالة. و ذكر الفخر الرازي أحوال هذه الأصوات ودلالتها عندما تشاهد إنسان " حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته غليظا جهيرا، وعند استيلاء الخوف يصير صوته حادا خفيفا،...، فاستدللنا بذلك الصوت المخصوص على الخلق المخصوص وهذا قانون صحيح " (١)

وقد ذكر القرآن الكريم بعض النبرات الصوتية في المواقف الاتصالية الصادرة عن المتكلم من حيث درجته وحجمه وإيقاع هذا الصوت له معان عميقة ورسائل دقيقة في توصيل المفهوم في أبلغ صورة. فمثلا خفض الصوت فيه دلالة على الفزع والخوف الكامن في سريرة النفس كما في قوله تعالى {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨] وتصف الآية حالة الأصوات بقوله سبحان {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} أي خفضت وخفتت وسكنت من هيبة الله وعظمته، ثم يؤكد ذلك بوصف حالة الصوت وهي أضعف حالاته بقوله {فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا}، وهي كلمة لها دلالة واضحة في وصف الموقف فالكل في خشوع رغم الازدحام الشديد فالخلائق مجموعون فيه من لدن آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حتي قيام الساعة. فالموقف عظيم له من الهيبة والخشوع ما لا يستطيع أحد أن يرفع صوته، فهو موقف يشرح بأبلغ صورة حالة الهلع التي يعيشونها وما يرونه من مشاهد يوم القيامة المروعة التي يشيب لها الولدان؛ لذا انخفضت أصواتهم إلي درجة الهمس وهو الصوت الخفي الذي لا يكاد أن يسمع. أما الآية التي في سورة القلم {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} [القلم: ٢٣] فأصحاب الجنة كانوا يتخافتون عندما أرادوا الذهاب إلى جنتهم حتى لا يراهم أحد ويخفضون أصواتهم فلا يسمع بهم أحد من الفقراء والمساكين كي لا يأخذوا من خير هذه الجنة فكأنهم في مهمة سرية ولذا جاء التعبير القرآني الفريد مصورا لهذا الحدث له دلالته الواضحة بقوله سبحانه {يَتَخَافَتُونَ}. وإذا كان الصوت مرتفعا وهو المعبر عنه بالصراخ فإنه يحمل معنى مميزا بين طياته شدة الألم والاستغاثة لأنه في ظروف قاهرة له ضاغطة عليه كما ورد في قوله تعالى {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ

(١) الفراسة ص ٤١، وما بعدها بتصرف.

أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر: ٣٧]

فالدلالة الصوتية للصراخ في الآية يدل على شدة الألم والصوت العالي المرتفع، والاستغاثة وطلب النجدة، لأن الصارخ وقع في هلاك أو مصيبة؛ فأصحاب النار يضجون ويرفعون أصواتهم من الألم طالبين الإغاثة فهو ليس صراخا ولكن (اصطراخ) فهو افتعال بصياح شديد مرتفع النبرة يحمل الجهد والمشقة والتعب، وما يجدونه من العذاب الأليم وكل هذه الأصوات قد مثلت لك رنة ذلك الصراخ المدوّي.

والصوت سلاح عظيم كان سببا في إبادة أقوام عتوا عن أمر ربهم والمعبر عنه بالصيحة وهي التي أفنت مدين وثمود وقوم لوط معبرًا عنها بالصوت الشديد. فماتوا في ديارهم من دون أن يصاب الدار بأي أذى وهذا من طلاقة القدرة الإلهية فإنّ الصيحة التي ذكرها القرآن الكريم، هي فعلاً صوت شديد، والمتتبع للظواهر الطبيعية على الكرة الأرضية يرجح أنّ الصيحة هي على الحقيقة صوت سلطه الله على أعدائه فماتوا فور سماعها.

وقد ذكر الله في القرآن الكريم أصواتا تحمل رسائل اتصالية مستقلة عن اللغة اللفظية تدل بذاتها على ذاتها مثل الأف والتأوه والجأر والزفير والشهيق إلي غيرها من الأصوات المعبرة. وبالفعل والصوت تكتمل الصورة في الذهن وترتسم الصورة في الخيال كما في قوله تعالى {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة: ٦]

فصوتها مخيف وعملها عنيف فكانت تجذبهم وتحطمهم فصاروا أبدانا بلا رؤوس فهم صرعى كأنهم أعجاز نخل منقعر وهي متكررة فقد تكررت عليهم سبع ليال وثمانية أيام من غير انقطاع ولا هدنة وهي عاتية جاوزت الحد لشدة هولها، وطول زمنها فأفنتهم وأذهبتهم وأصبحوا أثرا بعد عين فاجتمع عليهم المقدمة وهي الصوت المفزع المزعج الذي صاحب شدة الريح العاتية فكانت النتيجة الهلاك الساحق والعذاب الأليم في الحياة الدنيا ولعذاب الأخرة أشد وأبقى.

وذكر الله آدابا للصوت أقرها القرآن الكريم منها غض الصوت وعدم رفعه

خاصة في حضرة الأعلى مقاما والأرفع منزلة فجاء النهي للمؤمنين أن يرفعوا أصواتهم في حضرة النبي عليه الصلاة لما فيه من ترك الاحترام وقلة الاحتشام {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٢، ٣]، وفي وصية لقمان لا بنه وهي وصية عامة لجميع الناس ودعوة للأدب مع حسن الخلق {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩] فهو أمر بالاعتدال والتوسط في كل شيء في الفعل وهو المشي وفي القول فغض الصوت عند المحادثة فيه أدب فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع، والخفض أوقر للمتكلم، ويحمل الطمأنينة للمستمع مع ما فيه من صدق الحديث واستقامته، والمنهج الذي اتبعته في ثنايا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

من هنا جاء دور البحث وأهميته بعنوان (**الصوت ودلالاته في القرآن الكريم**)

وجاء في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: صوت الانسان ودلالته وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المستوي الصوتي المرتفع.

المطلب الثاني: المستوي الصوتي المنخفض.

المبحث الثاني: أصوات غير الإنسان وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصاخة.

المطلب الثاني: الصيحة.

المطلب الثالث: الصعق.

المطلب الرابع: الخوار.

المبحث الثالث: أصوات مشتركة بين الإنسان وغيره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الزفير والشهيق.

المطلب الثاني: الصر – الصرصر – الصرة

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم جاء الفهرس وفيه المصادر والمراجع.

وختامًا أسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا الصواب في القول والعمل، وأن يجنبنا الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل

لا شك أن الصوت له أهمية محورية في الوجود، لأن الصوت رفيق الإنسان منذ ولادته؛ فإن المولود له أحكامه منذ تصويته بمجرد خروجه من بطن أمه كما أورد البخاري في صحيحه "إِذَا اسْتَهَلَّ صَارِخًا صُلِّيَ عَلَيْه" [١] وله من الأحكام الشرعية التي تثبت له بمجرد ولادته صارخا أي حيا من الميراث وغيره.

"والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف" [٢]. ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك علاقة ثنائية بين دلالة الصوت والمعنى وعلى ذلك تكون " الدَّلَالَةَ نِسْبَةٌ مَخْصُوصَةٌ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى" [٣] و"الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات،.....، وأصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك " [٤]. فالدلالة هي العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمعنى والرابط بينهما الصوت، والدلالة الصوتية معرفة المقصود من الصوت بما يحمل من معاني في الذهن، فالصوت وإن كان قليلا في كمه فهو عميق في كيفه.

قال الغزالي " اعْلَمْ أَنَّ الْأُمُورَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى غَيْرِهِ وَإِلَى مَا لَا يَدُلُّ. فَأَمَّا مَا يَدُلُّ فَيَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَدُلُّ بِذَاتِهِ وَهُوَ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ،..... وَإِلَى مَا يَدُلُّ بِالْوَضْعِ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى صَوْتٍ وَغَيْرِ صَوْتٍ كَالْإِشَارَةِ وَالرَّمْزِ. فاللغة حركة ولفظ وصوت ومعنى، وهي في كل ذلك مرتبطة بالدلالة سواء كانت إشارة أو معنى، ولقد ربط علماء اللغة بين الصوت والمعنى والدلالة، فالدلالة الصوتية مستمدة من طبيعة الأصوات، وهي: المعاني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، حديث رقم ١٣٥٨، (٩٤/٢)

(٢) البيان والتبيين (٨٤/١)

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه (٢٦٨/٢)

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣١٦)

المستفادة من نطق ألفاظ معينة. " [١]

فقد أثبت الغزالي في قوله السابق أن الدلالة الصوتية تحمل سمات لها من قوة الدلالة على اللفظ قوة أو ضعفا ليتحقق التناسب بين المعنى والمبنى، والدلالة لا تحصل إلا بالاقتران الثنائي بين الدال والمدلول والملامح الصوتية كاشفة لما في النفوس مظهرة لمكنون الصدر وما تحويه النفس كما في قوله تعالى {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٠] "وهذا هو كما يقول لك إنسان معتقده وتفهم أنت من مقاطع كلامه وهيئته وقرائن أمره أنه على خلاف ما يقول " [٢]، فالآية توضح العلاقة الدقيقة بين الأداء الصوتي والدلالي مع الإيضاح الصوتي للمعاني، وأساس الفصاحة تلاؤم الأصوات وامتزاج الحروف بعضها ببعض حتي تحدث وقعا أذن السامع ذا أثر مقبول حتى عدوا تنافر الحروف في الكلمة من العيوب المخلة بالفصاحة.

ومن العلماء النابهين الذين أدركوا دقائق مناسبة أصوات الكلمة وحروفها لمعناها ومدلولها وكان لهم فضل السبق في مناسبة الدلالة الصوتية والمعنى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ ه)، وسيبويه (ت ١٨٠ه)، ثم جاء فيلسوف العربية ابن جني (ت ٣٢٩ه) الذي برع في كشف اللثام عن أوجه الدلالة الصوتية والمناسبة الظاهرة بين الأصوات والمعاني، وأصَّل ابن جني في كتابه «الخصائص» لهذه الدلالة، فعقد بابًا في تصاقب (أي تقارب) الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وبابًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، جمع فيها أمثلة تبين القيمة التعبيرية (للصوت) الواحد في حال البساطة، وفي حال التركيب.

قال في الأول: "هذا غور من العربية لا ينتصف- لا يدرك كله - منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلًا مسهوًّا عنه" [٣]، وقال في الثاني: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له

(١) المستصفى (ص: ١٨٤)
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٢١/٥)
(٣) الخصائص (١٤٧/٢)

والاعتراف بصحته".[١] "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها " [٢].

وضرب مثالا على أن الحرف الواحد يقع على صوت معين، ويوحي بالمعنى المناسب قال: " نضخ ونضخ، وهما للماء، والنضخ أقوى من النضح، {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن: ٦٦] فجعلوا الحاء -لرقَّتها- للماء الضعيف، والخاء -لغِلَظِها- لما هو أقوى منه، وذلك في سياق بلاغي متسق " [٣].

وعلى هذا فالدلالة هي إثارة اللفظ للمعنى الذهني، أي لمدلوله. وعلم اللغة يبحث في هذه الصلة بين اللفظ والصوت والمعنى. وتفردت اللغة العربية دون غيرها وتميزت عن مثيلاتها بهذه الغزارة في الارتباط بين الصوت والمعنى؛ لذا جعلها الله وعاء للقرآن الكريم الذي تحدى به الثقلين.

وجاء ابن القيم الجوزية محاولا البحث عن الدلالة الصوتية للحروف المقطعة في أوائل السور فقال: " تأمل سر {ألم} كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر واللام من وسط مخارج وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف أعني الحلق واللسان والشفتين وترتيب في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية. فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة التي تتفرع منها ستة عشر مخرجا فيصير منها تسعة وعشرون حرفا عليها دار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرا عجيبا وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه فمشتملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر فتأمل ذلك في البقرة

(١) الخصائص (١٥٤/٢)
(٢) الخصائص (١٥٩/٢)
(٣) الخصائص (١٦٠/٢)

وآل عمران والسجدة وسورة الروم " [١]. وهؤلاء الأفذاذ قد بذلوا جهدا كبيرا في مفهوم الدلالة الصوتية والعلاقة المتلازمة بين الصوت والمعنى فالدلالة الصوتية ذات جوانب متعددة وخصائص متباينة ولها من بالغ الأثر في المعنى مع ما يحمله اللفظ، فالمنطوق لا يكتمل معناه ولا يتم توضيحه إلا إذا جاء مكتسيا بالطريقة الأدائية من الظواهر الصوتية التي تناسب مقامه وتلائم بنائه.

"ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًا أو غنة أو لينًا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت"[٢].

والدلالة الصوتية إحدى أهم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وهي علم خادم لكتاب الله يبرز وجها من أوجه الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم فلابد من الاعتناء به وتجلية ما فيه من فوائد وعظات.

(١) بدائع الفوائد (١٧٣/٣)

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ١٤٩)

المبحث الأول

صوت الانسان ودلالته

ميز الله الإنسان بصوت يعبر به المتكلم ويفهم منه السامع وجاء في القرآن الكريم الصوت الإنساني على حالتين المستوى الصوتي المرتفع والمستوى الصوتي المنخفض وكل مستوى له دلالة على حالة الإنسان والموقف الذي يكون فيه وفي ذلك أثر في إنتاج الدلالة التصويرية للمشهد والمتكلم.

المطلب الأول

المستوي الصوتي المرتفع

ويشتمل على:

١ - الصراخ:

ورد لفظ الصراخ بمشتقاته في أربع آيات:

- قال تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر: ٣٧]

- {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} [القصص: ١٨]

- {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ} [يس: ٤٣]

- {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: ٢٢]

(صَرَخَ) الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْخَاءُ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ رَفِيعٍ. مِنْ ذَلِكَ الصُّرَاخُ، يُقَالُ: صَرَخَ يَصْرُخُ، وَهُوَ إِذَا صَوَّتَ. الصَّرْخَة: الصَّيْحَة الشَّدِيدةُ عِند الفَزَعِ أَو المُصيبة.

الصُّراخ: الصِّياحُ، ثمَّ تُجُوِّز بِهِ عَن الاستغاثة، إِذ لَا يَخلو مِنْهُ غَالِبا، ثمَّ صَار

حَقِيقَة عُرفِيّةً فِيهِ.

والصَّرِيخ: صَوتُ الْمُسْتَصْرِخ. وَيُقَال: صَرَخَ فلانٌ يَصْرُخ صُرَاخًا، إذا استغاثَ فَقَالَ: واغَوْثاه، واصَرْخَتاه. الصراخ الصوت الشديد ما كان. والصريخ: المغيث، والصريخ المستغيث أيضا، من الأضداد [١].

وقوله تعالى: {يَصْطَرِخُونَ} مُبَالَغَةٌ فِي (يَصْرُخُونَ) لِأَنَّهُ افْتِعَالٌ مِنَ الصُّرَاخِ وَهُوَ الصِّيَاحُ بِشِدَّةٍ وَجُهْدٍ، فَالِاصْطِرَاخُ مُبَالَغَةٌ فِيهِ، أَيْ يَصِيحُونَ مِنْ شِدَّةِ مَا نَابَهُمْ، وَجُمْلَةُ رَبَّنا أَخْرِجْنا بَيَانٌ لِجُمْلَةِ يَصْطَرِخُونَ، يَحْسَبُونَ أَنَّ رَفْعَ الْأَصْوَاتِ أَقْرَبُ إِلَى عِلْمِ الله بندائهم ولإظهار عَدَمِ إِطَاقَةِ مَا هُمْ فِيهِ [٢].(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها) أَيْ يَسْتَغِيثُونَ فِي النَّارِ بِالصَّوْتِ الْعَالِي. وَالصُّرَاخُ الصَّوْتُ الْعَالِي [٣]

وقوله تعالى: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُون} [يس: ٤٣]

"وَالصَّرِيخُ: الصَّارِخُ وَهُوَ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَنْجِدُ تَقُولُ الْعَرَبُ: جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، أَيِ الْمَنْكُوبُ الْمُسْتَنْجِدُ لِيُنْقِذُوهُ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَيُطْلَقُ الصَّرِيخُ عَلَى الْمُغِيثِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنْجِدَ إِذَا صَرَخَ بِهِ الْمُسْتَنْجِدُ صَرَخَ هُوَ مُجِيبًا بِمَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مِنَ النَّصْرِ.

وَالْمَعْنَى: لَا يَجِدُونَ مَنْ يَسْتَصْرِخُونَ بِهِ وَهُمْ فِي لُجِّ الْبَحْرِ وَلَا يُنْقِذُهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْغَرَقِ "[٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ) إِذَا أَدْرَكَهُمُ الْغَرَقُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلَاصَ مِنَ الْعَذَابِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِدَفْعِ الْعَذَابِ مِنْ أَصْلِهِ أَوْ بِرَفْعِهِ بَعْدَ وُقُوعِهِ فَقَالَ: لَا صَرِيخَ لَهُمْ يَدْفَعُ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ بَعْدَ الْوُقُوعِ فِيهِ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ} [يس: ٢٣] فَقَوْلُهُ: {فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ} فِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى غَيْرُ

(١) مقاييس اللغة (٣٤٨/٣)، تاج العروس (٢٩٠/٧)، لسان العرب (٣٣/٣- ٣٤).
(٢) التحرير والتنوير (٣١٨/٢٢)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٢/١٤)
(٤) التحرير والتنوير (٢٩/٢٣)

الْحَصْرِ وهي أنه تعالى قال لا صريخ لهم وَلَمْ يَقُلْ وَلَا مُنْقِذَ لَهُمْ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْصُرَ لا يشرع في النصرة مَخَافَةَ أَنْ يُغْلَبَ وَيَذْهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ، وَإِنَّمَا يَنْصُرُ وَيُغِيثُ مَنْ يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغِيثَ فَقَالَ لَا صَرِيخَ لَهُمْ، وَأَمَّا مَنْ لَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُنْقِذَ إِذَا رَأَى مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ فِي ضُرٍّ يَشْرَعُ فِي الْإِنْقَاذِ، وَإِنْ لَمْ يَثِقْ بِنَفْسِهِ فِي الْإِنْقَاذِ وَلَا يَغْلِبْ عَلَى ظَنِّهِ. وَإِنَّمَا يَبْذُلُ الْمَجْهُودَ فَقَالَ: وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ وَلَمْ يَقُلْ ولا منقذ لهم. (١).

فدلالة الصراخ في الآيات يدل على شدة الألم وطلب الإغاثة والصوت العالي المرتفع، والاستغاثة وطلب النجدة، لأن الصارخ وقع في هلاك أو مصيبة؛ فأصحاب النار يضجون ويرفعون أصواتهم من الألم طالبين الإغاثة فهو ليس صراخا ولكن (اصطراخ) فهو افتعال بصياح شديد مرتفع النبرة يحمل الجهد والمشقة والتعب، وما يجدونه من العذاب الأليم ويرفعون أصواتهم قائلين {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} فأصحاب النار يطلبون الإغاثة لكن بلا مغيث، فلا يجدون أذنا صاغية، ولا نجدة متوقعة، ولا مجيب لهم ولا ناصر لطلبهم؛ لذا جاء الرد الإلهي عليهم {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}. فالعذاب مقيم، والألم دائم وصراخهم مستمر حتى إنهم يطلبون الموت فلا يجدونه بل كلما خبت النار زادها الله سعيرا، وبدلهم الله جلودا غير جلودهم لمزيد من إذاقتهم العذاب؛ لأنه مصدر الإحساس والشعور وصدق الله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

٢- المكاء والتصدية

قال تعالى {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الأنفال: ٣٥]

وَالْمُكَاءُ عَلَى صِيغَةِ مَصَادِرِ الْأَصْوَاتِ كَالرُّغَاءِ وَالثُّغَاءِ وَالْبُكَاءِ وَالنُّوَاحِ، يُقَالُ: مَكَا يَمْكُو إِذَا صَفَّرَ بِفِيهِ، وَالتَّصْدِيَةُ التَّصْفِيقُ مُشْتَقًّا مِنَ الصَّدَى وَهُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يَرُدُّهُ

(١) مفاتيح الغيب (٢٨٦/٢٦)

الْهَوَاءُ مُحَاكِيًا لِصَوْتٍ صَالِحٍ فِي الْبَرَاحِ مِنْ جِهَةٍ مُقَابِلَةٍ[١]. وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ بِالْيَدَيْنِ[٢] وهو ضرب اليد باليد بحيث يسمع له صوت، ووزنه تفعلة من الصد [٣]

الصَّدِيدُ مِنَ الأَصْوَاتِ الشَّدِيدُ كالضَّجِيج وفي القرآن: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧] أيْ يَضِجُّون [٤] كَضَجِيجِ الْإِبِلِ عِنْدَ حَمْلِ الأثقال[٥] ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب، والمراد بقوله هُنَا: كُفَّارُ قُرَيْشٍ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: صَدَّ يَصِدُّ صَدِيدًا: أي ضجّ [٦].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ قُرَيْشٌ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً يُصَفِّرُونَ وَيُصَفِّقُونَ، فَكَانَ ذَلِكَ عِبَادَةً فِي ظَنِّهِمْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا يُعَارِضُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الطَّوَافِ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ وَيُصَفِّرُونَ وَيَخْلِطُونَ عَلَيْهِ طَوَافَهُ وَصَلَاتَهُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ إِذَا صَلَّى الرَّسُولُ فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُونَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بِالتَّصْفِيرِ وَالتَّصْفِيقِ لِيَخْلِطُوا عَلَيْهِ صَلَاتَهُ. فَعَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ الْمُكَاءُ وَالتَّصْدِيَةُ نَوْعَ عِبَادَةٍ لَهُمْ، وَعَلَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ، كَانَ إِيذَاءً لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. [٧]

وَلَا تُعْرَفُ لِلْمُشْرِكِينَ صَلَاةٌ، فَتَسْمِيَةُ مُكَائِهِمْ وَتَصْدِيَتِهِمْ صَلَاةً مُشَاكَلَةٌ تَقْدِيرِيَّةٌ لِأَنَّهُمْ لَمَّا صَدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عِنْدَ الْبَيْتِ. كَانَ مِنْ جُمْلَةِ طَرَائِقِ صَدِّهِمْ إِيَّاهُمْ تَشْغِيبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَسُخْرِيَتُهُمْ بِهِمْ يُحَاكُونَ قِرَاءَةَ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاتَهُمْ بِالْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ [٨].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/٣٣٨ -٣٣٩)
(٢) مقاييس اللغة (٣/٣٤١)
(٣) روح المعاني (٥/١٩٠)
(٤) فقه اللغة وسر العربية (ص: ١٤٧)
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٠٣)
(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٦٤٢)
(٧) مفاتيح الغيب (١٥/٤٨١) الجامع لأحكام القرآن (٧/٤٠٠)
(٨) التحرير والتنوير (٩/٣٣٨ -٣٣٩)

جاء المكاء والتصدية من فعل الكفار وهي أصوات لها دلالة على رفع الصوت ويعبر به عن الإزعاج والضوضاء بالتصفير والتصفيق، وذلك للتشويش على النبي في عبادته وهو يقرأ القرآن، حتي لا يسمعه أحد لأنهم يعلمون أن للقرآن شعاع يلامس القلب ويخاطب العقل، وتحيا به الروح، فقد حكي القرآن عن هؤلاء الكافرين إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالصياح والغناء ليمنعوا الناس من سماعه قال تعالى مخبرا عن حالهم هذا {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: ٢٦] ثم جاء الرد على فعلهم من المكاء والتصدية {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} فهؤلاء الكفار لهم عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم واستهزائهم بالنبي محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإيذائه، وانتهاكهم حرمة البيت بالتصفير والتصفيق والطواف به عراة رجالا ونساء؛ لذا نفى الله عنهم أن يكونوا أولياء بيته الحرام وأثبت أن أوليائه هم المتقون الذين يستشعرون حرمة البيت الحرام، ويخشون من هيبة الله وعظمته.

٣- النعق

قال تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٧١]

(نَعَقَ) النُّونُ وَالْعَيْنُ وَالْقَافُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ. وَنَعَقَ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ يَنْعَقُ وَيَنْعِقِ، إِذَا صَاحَ بِهِ زَجْرًا، نَعِيقًا [(١)] النعيق: دعاء الراعي الشاة. يقال: انعق بضأنك أي ادعها' ونعق الراعي بالغنم ينعق، بالكسر، نعقا ونعاقا ونعيقا ونعقانا: صاح بها وزجرها، يكون ذلك في الضأن والمعز' يعني الصياح [(٢)]

قال الفخر الرازي في تفسيره: " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا حَكَى عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ إِلَى اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَرَكُوا النَّظَرَ وَالتَّدَبُّرَ، وَأَخْلَدُوا إِلَى التَّقْلِيدِ، وَقَالُوا: {بَلْ نَتَّبِعُ

(١) مقاييس اللغة (٤٤٥/٥)
(٢) لسان العرب (٣٥٦/١٠)

ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا} [البقرة: ١٧٠] ضَرَبَ لَهُمْ هَذَا الْمَثَلَ تَنْبِيهًا لِلسَّامِعِينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا وَقَعُوا فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ بِسَبَبِ تَرْكِ الْإِصْغَاءِ، وَقِلَّةِ الِاهْتِمَامِ بِالدِّينِ، فَصَيَّرَهُمْ مِنْ هذا الوجه بمنزلة الْأَنْعَامِ.

وَلِلْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَرِيقَانِ أَحَدُهُمَا: تَصْحِيحُ الْمَعْنَى بِالْإِضْمَارِ فِي الْآيَةِ وَالثَّانِي: إِجْرَاءُ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا مِنْ غَيْرِ إِضْمَارٍ، أَمَّا الَّذِينَ أَضْمَرُوا فَذَكَرُوا وُجُوهًا الْأَوَّلُ: كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَثَلُ مَنْ يَدْعُو الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الْحَقِّ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ، فَصَارَ النَّاعِقُ الَّذِي هُوَ الرَّاعِي بمنزل الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَسَائِرُ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَصَارَ الْكُفَّارُ بِمَنْزِلَةِ الْغَنَمِ الْمَنْعُوقِ بِهَا وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ الْبَهِيمَةَ تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تَفْهَمُ الْمُرَادَ، وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ كَانُوا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الرَّسُولِ وَأَلْفَاظَهُ، وَمَا كَانُوا يَنْتَفِعُونَ بِهَا وَبِمَعَانِيهَا لَا جَرَمَ حَصَلَ وَجْهُ التَّشْبِيهِ. الثَّانِي: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دعائهم آلِهَتَهُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ كَمَثَلِ النَّاعِقِ فِي دُعَائِهِ مَا لَا يَسْمَعُ كَالْغَنَمِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْكَلَامِ وَالْبَهَائِمُ لَا تَفْهَمُ: فَشَبَّهُ الْأَصْنَامَ فِي أَنَّهَا لَا تَفْهَمُ بِهَذِهِ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ هاهنا الْمَحْذُوفَ هُوَ الْمَدْعُوُّ، وَفِي الْقَوْلِ الَّذِي قَبْلَهُ الْمَحْذُوفُ هُوَ الدَّاعِي. الثَّالِثُ: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دُعَائِهِمْ آلِهَتَهُمْ كَمَثَلِ النَّاعِقِ فِي دُعَائِهِ عِنْدَ الْجَبَلِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ إِلَّا صَدَى صَوْتِهِ فَإِذَا قَالَ: يَا زَيْدُ يَسْمَعُ مِنَ الصَّدَى: يَا زَيْدُ. فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ إِذَا دَعَوْا هَذِهِ الْأَوْثَانَ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا مَا تَلَفَّظُوا بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالنِّدَاءِ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: فِي الْآيَةِ وَهُوَ إِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا مِنْ غَيْرِ إِضْمَارٍ وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَقُولَ: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قِلَّةِ عَقْلِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِهَذِهِ الْأَوْثَانِ، كَمَثَلِ الرَّاعِي إِذَا تَكَلَّمَ مَعَ الْبَهَائِمِ فَكَمَا أَنَّهُ يُقْضَى عَلَى ذَلِكَ الرَّاعِي بِقِلَّةِ العقل، فكذا هاهنا. الثَّانِي: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي اتِّبَاعِهِمْ آبَاءَهُمْ وَتَقْلِيدِهِمْ لَهُمْ، كَمَثَلِ الرَّاعِي إِذَا تَكَلَّمَ مَعَ الْبَهَائِمِ فَكَمَا أَنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْبَهَائِمِ عَبَثٌ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ، فَكَذَا التَّقْلِيدُ عَبَثٌ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ[1].

والوجه الأول هو الأظهر لأن المراد بيان إعراضهم عن دعوة الحق. فسواء عندهم

(١) مفاتيح الغيب (١٨٩/٥ وما بعدها بتصرف)

الإنذار وعدم الإنذار. لأنهم في الضلال سائرون. وقد آثر القرآن كلمة:" ينعق " لما فيها من مناسبة للمعنى. والقوم - هنا - مشبَّهون بالأنعام فهي تسمع للصوت دويًا ولا تميز ما فيه من معان وقيم مدعو إليها. فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه. ومن الثاني الذي يُنعق به لدلالة الذين كفروا عليه.

هذه صورة خلاصتها: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق. أو: ومثل الذين كفروا كمثل بهائِم الذي ينعق. والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان - في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة. ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار - كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها. ولا تفقه شيئًا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون [١].

وَالدُّعَاءُ وَالنِّدَاءُ قِيلَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَهُوَ تَأْكِيدٌ وَلَا يَصِحُّ، وَقِيلَ الدُّعَاءُ لِلْقَرِيبِ وَالنِّدَاءُ لِلْبَعِيدِ، وَقِيلَ الدُّعَاءُ مَا يُسْمَعُ وَالنِّدَاءُ قَدْ يُسْمَعُ وَقَدْ لَا يُسْمَعُ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا نَوْعَانِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَفْهَمُهَا الْغَنَمُ، فَالدُّعَاءُ مَا يُخَاطَبُ بِهِ الْغَنَمُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الزَّجْرِ وَهِيَ أَسمَاء الْأَصْوَات، والنداء رَفْعُ الصَّوْتِ عَلَيْهَا لِتَجْتَمِعَ إِلَى رُعَاتِهَا، وَلَا يَجُوزَ أَنْ يَكُونَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ مَعَ وُجُودِ الْعَطْفِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ اللَّفْظِيَّ لَا يُعْطَفُ فَإِنَّ حَقِيقَةَ النِّدَاءِ رَفْعُ الصَّوْتِ لِإِسْمَاعِ الْكَلَامِ [٢].

ورد لفظ (ينعق) في القرآن الكريم للدلالة على الصوت والصوت المرتفع لأنه يريد أن يلفت الماشية المرعية لتسير خلفه أو يزجرها، وعلى ذلك نفهم أن النبي صلى الله وسلم والكفار مثل الراعي الذي ينعق بالماشية فلا تسمع إلا دعائه وندائه ولا تفهم ما يقول. فالرسول يشترك مع الراعي في الدعاء والنداء، وهم اشتركوا مع المَرعي في أنهم لم يفهموا إلا الدعاء والنداء فقط، وقد وصفهم الله {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩] ووجه الشبه بين كل من الطرفين هو الضلال وسلب الإدراك.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/٧٣)

(٢) التحرير والتنوير (٢/١١٣)

فالله أعطاهم الحواس ليدركوا حقيقة الإيمان ولكنهم عطلوها بكفرهم وعنادهم؛ لذا جاء الوصف الإلهي لهم بأنهم (صم) في عدم سماعهم للحق الذي جاء به النبي (بكم) في عدم نطقهم بالشهادة التي تنجيهم في الآخرة وتَعبُر بهم إلي عالم روحي بدلا من الحياة المادية البائسة التي يعيشون فيها (عمي) عن رؤية الحق الواضح والنور الساطع الذي بدت معالمه في مظاهر الكون لأنهم لو نظروا نظرة محايدة علموا أن لهذا الكون خالق قدير صانع حكيم {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور} [الحج: ٤٦] لكنهم (لا يعقلون) ما يُدعون إليه ولا يتفكرون فيه لأن العقل يأتي بدوره الفصل بعد السماع والنظر والتفكير ولكنهم أفقدوا بأيديهم أدوات المعرفة فاستحقوا من الله ما يصنعون.

٤ -التأفف والانتهار

ورد لفظ التأفف والانتهار معا في قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣]

وورد لفظ التأفف منفردا في قوله تعالى: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ٦٧] {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين} [الأحقاف: ١٧]

وورد لفظ الانتهار منفردا في قوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: ١٠]

الأف: يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم استعمل ذلك عند كل شيء يُضجر منه ويُتأذى به. وهو الضجر، فمن خفض ونون ذهب إلى أنها صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تخفض الأصوات والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أف له، وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر متكره [١]. و (أف) اسم صوت

(١) لسان العرب (٦/٩)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٩)

يُنبئ عن التضجر أو اسم فعل هو أتضجر واسم الفعل بمعنى المضارع [١] تَقُولُ الْعَرَبُ جَعَلَ فُلَانٌ يَتَأَفَّفُ مِنْ رِيحٍ وَجَدَهَا، مَعْنَاهُ يَقُولُ: أُفٍّ أُفٍّ. ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلُوا عِنْدَ كُلِّ مَا يَتَأَذَّوْنَ بِهِ. وأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ أَنَّهُ إِذَا سَقَطَ عَلَيْكَ تُرَابٌ أَوْ رَمَادٌ نَفَخْتَ فِيهِ لِتُزِيلَهُ وَالصَّوْتُ الْحَاصِلُ عِنْدَ تِلْكَ النَّفْخَةِ هُوَ قَوْلُكَ أُفٍّ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَسَّعُوا فَذَكَرُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ عِنْدَ كُلِّ مَكْرُوهٍ يَصِلُ إِلَيْهِمْ [٢]، وَأُفٍّ خَفْضًا مَعَ النُّونِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَوْتٌ، كَمَا تُخْفَضُ الْأَصْوَاتُ [٣] وهو مَا يُظْهِرُهُ بِتَنَفُّسِهِ الْمُتَرَدِّدِ مِنَ الضَّجَرِ، وَيُقَالُ لِكُلّ مَا يُضْجِرُ وَيُسْتَثْقَلُ: أُفٍّ لَه، و" أف" كلمة مقولة لكل شيء مَرْفُوضٍ[٤] والنهر: من الانتهار. ونهر الرجل ينهره نهرا وانتهره إذا استقبلته بكلام تزجره عن خبر[٥]، وَالنَّهْرُ الزَّجْرُ، يُقَالُ: نَهَرَهُ وَانْتَهَرَهُ [٦] والنهر كما قال الراغب الزجر بمغالظة[٧]. والانتهارُ: إظهارُ الغضبِ في الصوتِ واللفظِ[٨]. (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) أَيْ لَا تَزْجُرْهُ، فَهُوَ نَهْيٌ عَنْ إِغْلَاظِ الْقَوْلِ [٩].

كلمة (أف) صوت يخرجه الإنسان من فعل زفير الهواء من الرئتين عبر الفم، وهي لفظة لا إرادية تخرج من صاحبها تعبيرا عن الضجر والاستياء فهو صوت له معنى ودلالة عميقة تقال لكل شيء مستثقل وكل فعل مرفوض، وهي انفعال طبيعي يخرجه الإنسان عند الضيق والمكروه والتأذي.

والحق سبحانه نهى المسلم عن النطق بهذه الكلمة (أف) وهي تعبير بسيط يخرج من الإنسان من غير تعقل أو تفكير فهي تخرج عن الغضب والتضجر كما تخرج لفظة

---

(١) روح المعاني (٨/٥٥)
(٢) مفاتيح الغيب (٢٠/٣٢٤)
(٣) مقاييس اللغة (١/١٦)
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٤١)
(٥) لسان العرب (٥/٢٣٩)
(٦) التحرير والتنوير (١٥/٧٠)
(٧) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٢٦)
(٨) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٤/٩٢)
(٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٠١)

(آه) عن الألم وهي قسرية وليست اختيارية، فهو تحذير وتنبيه للمسلم أن يفعل ذلك ولو رآه قليلا فما بالك بما هو أكثر من ذلك. وقرن الله في هذه الآية: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣] الأمر بعبادته بالأمر ببر الوالدين والإحسان لهما إعلانا منه سبحانه بقيمة البر وبركته في حياة الإنسان و بعد مماته. ومن الملاحظ أن الله أوصى الأبناء بالآباء، ولم يوص الآباء بالأبناء لأن الوالدين يندفعان بحكم الفطرة إلي رعاية الأولاد وإلي التضحية بكل غال ونفيس حتى بذاته أما الأولاد فيندفعون إلي الأمام وينسون كل هذه التضحيات من الوالدين، ويهتمون بالزوجات والذرية؛ لذا جاء الأمر الإلهي بالقضاء المُبرم والحُكم الملزم بطاعة الوالدين وبرهم في جميع مراحل العمر وبخاصة في حالة الضعف والكبر والاحتياج للعناية والرغبة في الرعاية وقد أنفقوا رحيق أعمارهم على صغارهم. فكان من الوفاء والمروءة رد الجميل وإسداء المعروف لهم بما قدموه فالوالدين سبب في وجوده فقال تعالى {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} أدنى كلمة وأول مراتب الأدب أن لا يخرج الإنسان ما يدل على تبرمه وضيقه، ثم يترقى النهي بقوله تعالى {وَلَا تَنْهَرْهُمَا} بعدم الزجر وإغلاظ القول وإظهار الغضب في نبرات صوتهم فإن ذلك عقوق لهم وإهانة و سوء أدب لا يليق بالوالدين، وبعد هذا النهي يأتي الأمر {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} فلابد من لين القول معهم وتقديم باب الأدب بين يديهم فيكون الكلام بكامل الإكرام وعظيم الاحترام والتواضع معهم وليتذكر ما فعلوه به وهو صغير فلا ينكر الجميل ولا ينسى ضعفه واحتياجه في حالة صغره و حتى لا ينسى الإنسان حاله السابق من الضعف والاحتياج والكبر في اللاحق ذكره بقوله {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤]. رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-:" رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ" قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ" (١)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، حديث رقم ٢٥٥١، (١٩٧٨/٤)

٥- الجأر

ورد في القرآن الكريم لفظ الجأر بفعله المضارع في قوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣] {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} [المؤمنون: ٦٤، ٦٥].

جأر: جأر يجأر جأرا وجؤارا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة. وهو رفع الصوت إليه بالدعاء. وجأر القوم جؤارا: وهو أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء متضرعين [١].

{تَجْأَرُونَ} معناه ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع، وأصله في جؤار الثور والبقرة وصياحها، وهو عند جهد يلحقها أو في أثر دم يكون من بقرة تذبح، فذلك الصراخ يشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إذ رفع صوته [٢] { فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} أَيْ تَضِجُّونَ بِالدُّعَاءِ. وَالْجُؤَارُ مِثْلُ الْخُوَارِ[٣]. والأصوات مبْنية على «فُعَالٍ» و«فَعِيل»، فأما «فُعَال» فنحو «الصُّرَاخ» و«الخُوَار»، وأما «الفَعِيل» فنحو «العويل» و«الزَّئير»، والفُعَال أكثر [٤] والجؤار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة [٥].

فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ أَيْ تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالِاسْتِغَاثَةِ، وَتَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ يُقَالُ: جَأَرَ يَجْأَرُ جُؤَارًا وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ[٦]. وتَجْأَرُونَ تَصْرُخُونَ بِالتَّضَرُّعِ. وَالْمَصْدَرُ: الْجُؤَارُ، بِصِيغَةِ أَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ [٧].

من كل ما سبق نعلم أ ن لفظة (يجأر) في القرآن الكريم تفيد رفع الصوت مع تضرع واستغاثة، ولها دلالة خاصة عميقة في المعنى دقيقة في التعبير تفيد رفع الصوت

(١) لسان العرب (١١٢/٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦٠٧/٢)
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٠٠/٣)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١٥/١٠)
(٤) زاد المسير في علم التفسير (٥٦٥/٢)
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦١١/٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠٤/٣)
(٦) مفاتيح الغيب (٢٢٢/٢٠)
(٧) التحرير والتنوير (١٧٨/١٤)

بالدعاء كي يطلب النجاة فآية النحل بدأت بقوله {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} فالحق سبحانه بيَّن لنا أنّ جميع النعم من الله تعالى فنعمه لا تعد وفضله لا يحد، ولكن مشكلة الإنسان هي التعود على النعمة فلا يشعر بوجودها إلا إذا فقدها، فالله تعالى يذكره بقيمة هذه النعمة بأن يسلبها منه، ويحبسها عنه فقال جلّ ذكره {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ}، والضر المقصود به الفقر أو المرض أو الحاجة فإذا أصابه شيء من ذلك رفع صوته بالدعاء، ونادى ربه بتضرع، ولجأ إليه بخشوع فهو سبحانه المجيب والمغيث، وبذلك توحي كلمة (تجأر) بالمعنى المطلوب والصورة الحية الناطقة بحالهم، وعمق الدلالة من هذه اللفظة من حيث البيان لفطرة الإنسان الأصلية التي توجب عليه اللجوء إليه وحده ساعة الضيق والضر وحالة الكرب والعسر. وفي آية سورة المؤمنون {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} تفيد الألم الواقع عليهم من العذاب الذي هو القحط والجوع فاستوجب عليهم الجأر الذي هو الصراخ بصوت عال، والإنسان لا يجأر إلا إذا كان في محنة وكرب لا يقدر على دفعه بنفسه فيصرخ طالبا النجدة رافعا صوته حتى يسمعه القريب والبعيد ثم يأتي الرد الإلهي عليهم بالرفض وعدم النصرة {لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} فهم لا يستحقون النصر لأنهم انحرفوا عن المنهج، وحادوا عن الطريق وصدق الله {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر: ٥١]

٦-التأوه:

قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيم} [التوبة: ١١٤]، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: ٧٥]

أوه: الآهة: كلمة معناها التحزن. وأوه من فلان إذا اشتد عليك فقده، إنما هو توجع، لتطويل الصوت بالشكاية. كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع، وقد أوه الرجل تأويها وتأوه تأوها إذا قال أوه، وأخرج نفسه بهذا الصوت ليتفرج عنه بعض ما به.

ورجل أواه: كثير الحزن، الأواه: المتأوه المتضرع [١].

وقال الراغب: الأَوَّاه: الذي يكثر التأوّه، وهو أن يقول: أَوَّه أَوَّه، وكل كلام يدل على حزن يقال له: التَّأَوُّه، ويعبّر بالأوّاه عمّن يظهر خشية الله تعالى [٢]، والتأوه التفجع الذي يكثر حتى ينطق الإنسان معه، ب «أوه» [٣] لَأَوَّاهٌ فعال، وهو الذي يكثر التأوه [٤] كثير التأوّه من الذنوب والتأسف على الناس[٥] كثير التأوّه من خوف الله [٦].

وَاشْتِقَاقَ الْأَوَّاهِ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ عِنْدَ شِدَّةِ حُزْنِهِ أَوَّهْ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ عِنْدَ الْحُزْنِ يَخْتَنِقُ الرُّوحُ الْقَلْبِيُّ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ وَيَشْتَدُّ حَرْقُهُ، فَالْإِنْسَانُ يُخْرِجُ ذَلِكَ النَّفَسَ الْمُحْتَرِقَ مِنَ الْقَلْبِ لِيُخَفِّفَ بَعْضَ مَا بِهِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي اشْتِقَاقِ هَذَا اللَّفْظِ، ومَعْنَى كَوْنِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَوَّاهًا، كُلَّمَا ذَكَرَ لِنَفْسِهِ تَقْصِيرًا أَوْ ذُكِرَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ شَدَائِدِ الْآخِرَةِ كَانَ يَتَأَوَّهُ إِشْفَاقًا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتِعْظَامًا لَهُ [٧].

ورد لفظ (أواه) وهو صيغة مبالغة على وزن فَعَّال والتأوه مشتق من الصوت (آه) الذي يعبر به الإنسان عن التوجع والألم ولا يشترط أن يكون الألم حسيا ولكن كثيرا ما تكون هذه اللفظة تعبيرا عن الألم المعنوي " وفُسِّرَ (الْأَوَّاهُ) بِمُعَانٍ تَرْجِعُ إِلَى الشَّفَقَةِ إِمَّا عَلَى النَّفْسِ فَتُفِيدُ الضَّرَاعَةَ إِلَى اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارَ، وَإِمَّا عَلَى النَّاسِ فَتُفِيدُ الرَّحْمَةَ بِهِمْ وَالدُّعَاءَ لَهُم. لَكِنَّ الْوَصْف ب(أَوَّاهٌ) كِنَايَةٌ عَنِ الرَّأْفَةِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ وَالتَّضَرُّعِ حِينَ يُوصَفُ بِهِ مَنْ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ "[٨] فكلمة (أواه) اختصرت كثيرا من المعاني فهي دلالة صوتية واضحة عبرت عما يجيش في صدر ابراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فكان يدعو الله بتأوه وضراعة

(١) لسان العرب (٤٧٢/١٣)
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٠١)
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩١/٣)
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١٥/٢)
(٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٧٠/٢)
(٦) إيجاز البيان عن معاني القرآن (٤١٨/١)
(٧) مفاتيح الغيب (١٥٩/١٦)
(٨) التحرير والتنوير (٤٦/١١)

وتختلج أنفاسه بالبكاء والآنين طالبا المغفرة من الله والرحمة لعباده فنبي الله ابراهيم جمع الله له كل خصال الخير التي وزعت علي الخلق قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠] ومن أبرز تلك الصفات أنه (أواه) كثير الدعاء بضراعة، كثير الرجاء بخشوع، كثير الاستغفار بإخبات، رقيق القلب، شديد الرأفة، وهذا التأوه علامة رقة القلب، ومظهرا من مظاهر الرحمة في النفس البشرية، والصفة الثانية أنه (حليم) وهي صيغة مبالغة من الحلم فهو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كثير الحلم وهو رجحان العقل و ثباته، وهذا الخلق يجعل صاحبه صبورا على أذى الناس، كثير العفو جميل الصفح مع البعد عن الانتقام والتباعد عن العدوان؛ فمن أسباب الحلم رقة القلب، وشدة العطف فمن كان حليما فإنه لا يغضب بل يقابل السيئة بالحسنة وصدق الله {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم} [فصلت: ٣٤].

المطلب الثاني
المستوى الصوتي المنخفض

١- الركز

قال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} {مريم: ٩٨} (رَكَزَ) الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِثْبَاتُ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ يَذْهَبُ سُفْلًا، وَالْآخَرُ صَوْتٌ[١]. الركز في اللغة الصوت الخفي الذي لا يكاد يتبين [٢]، والصوت ليس بالشديد. والركز: صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه [٣]

(ركزا) أي صوتا خفيا وأصل التركيب - الركز- هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز للمال المدفون، وخص بعضهم الركز بالصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم، والأكثرون على الأول، وخص الصوت الخفي لأنه الأصل الأكثر ولأن الأثر الخفي إذا زال فزوال غيره بطريق الأولى[٤]. الصَّوْتُ الْخَفِيُّ دُونَ نُطْقٍ بِحُرُوفٍ وَلَا فَمٍ[٥] كَرِكْزِ الْكَتِيبَةِ [٦]، وإنما هو صوت الحركات وخشفتها – سماع الصوت عند المشي -[٧].

يخبر الله في هذه الآية عن مصير الظالمين، ومن على شاكلتهم، وهذا إنذار للمشركين من أهل مكة بالهلاك والدمار مثل قوم نوح وهود وغيرهم من الأمم السابقة، وسوء العاقبة في الآخرة، ولكن الله لم ينزل عليهم العذاب الذي يستأصلهم، كرامة للنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، ولأنه يعلم بعلمه المحيط أنه سيخرج من أصلابهم من يخدم هذا

(١) مقاييس اللغة (٤٣٣/٢)
(٢) معاني القرآن للنحاس (٣٦٧/٤)،
(٣) لسان العرب (٣٥٥/٥)
(٤) روح المعاني (٤٥٩/٨)
(٥) البحر المحيط (٢٧٤/٧)، المحرر الوجيز (٣٥/٤)
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١١)
(٧) المحرر الوجيز (٣٥/٤)

الدين ويكون نصيرا للإسلام كعكرمة بن أبي جهل. وجاء التعبير بالإحساس والصوت في هذه الآية للدلالة على عدم وجودهم وهلاكهم. فقال سبحانه {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} والاستفهام للنفي فلا عين تراهم ولا يمكن إدراكهم بأي أداة فلا تجد لهم أثرا، {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} حتى صوتهم وإن كان خفيا خافتا لا تكاد تسمعه، والتعبير بـ{رِكْزًا} يؤدي دلالته العميقة لأن الركز ينطلق من باطن الأرض ومن عمق فيسمى {رِكْزًا} ولا يسمى كلاما لأن الكلام يكون من الأحياء. والمعنى أن الله أهلك كثيرا من القرى الظالمة السابقة؛ فلا ترى منهم أحدًا على الإطلاق ولا تسمع لهم صوتا ولو كان صوتا خافتا ضعيفا؛ فدل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية فلا حس بأحد إدراكاته، ولا صوت بأدنى مستوياته، وإنما هم في سكون عميق وصمت رهيب، وبقيت أثارهم تُنبأ عنهم ليكونوا عبرة للمعتبرين، وهذه سنة الله في هلاك الظالمين.

٢- الهمس

قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨]

الْهَمْسُ: الصوت الخفيّ، وهَمْسُ الأقدام: أخفى ما يكون من صوتها [١]. الهمس: الخفي من الصوت، وقد همسوا الكلام همسا. الكلام الخفي لا يكاد يفهم؛ وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت الوطء [٢]

وَالْخُشُوعُ: الْخُضُوعُ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ مَظْهَرٌ مِنَ الْخُشُوعِ فَمَظْهَرُ الْخُشُوعِ فِي الصَّوْتِ: الْإِسْرَارُ بِهِ، فَلِذَلِكَ فُرِّعَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا. وَالْهَمْسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. وَجُمْلَةُ وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ يَتَّبِعُونَ وَإِسْنَادُ الْخُشُوعِ إِلَى الْأَصْوَاتِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، فَإِنَّ الْخُشُوعَ لِأَصْحَابِ الْأَصْوَاتِ أَوِ اسْتُعِيرَ الْخُشُوعُ لِانْخِفَاضِ الصَّوْتِ وَإِسْرَارِهِ، وَهَذَا الْخُشُوعُ مِنْ هَوْلِ الْمَقَامِ [٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٤٦)

(٢) لسان العرب (٢٥٠/٦)

(٣) التحرير والتنوير (٣٠٩/١٦ - ٣١٠)

قَوْلُهُ: وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا وَفِيهِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَخَضَعَتْ وَخَفِيَتْ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ، وَقَدْ عَلِمَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ بِأَنْ لَا مَالِكَ لَهُمْ سِوَاهُ فَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ يَزِيدُ عَلَى الْهَمْسِ وَهُوَ أَخْفَى الصَّوْتِ وَيَكَادُ يَكُونُ كَلَامًا يُفْهَمُ بِتَحْرِيكِ الشَّفَتَيْنِ لِضَعْفِهِ. وَحُقَّ لِمَنْ كَانَ اللَّه مُحَاسِبَهُ أَنْ يَخْشَعَ طَرْفُهُ وَيَضْعُفَ صَوْتُهُ وَيَخْتَلِطَ قَوْلُهُ وَيَطُولَ غَمُّهُ. وَثَانِيهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الْهَمْسُ وَطْءُ الْأَقْدَامِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ إِلَّا خَفْقَ الْأَقْدَامِ وَنَقْلَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ [١].

وقوله (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن [٢]. «الهمس» الصوت الخفي الخافت وقد يحتمل أن يريد «بالهمس» المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر، ويحتمل أن يريد صوت الأقدام وأن أصوات النطق ساكنة [٣].

تحدثت هذه الآية عن موقف من مواقف يوم القيامة بعد نسف الجبال في ذلك اليوم يتبعون الداعي الذي ينادي عليهم وهو الملك الذي ينفخ في الصور ويدعوهم إلي الحضور والحساب؛ فلن يتأبَّى عليه أحد، فلا يتلفتون أو يتخلفون، ولا يستطيعون الامتناع عن إجابته ولا يحيدون عنه. وتصف الآية حالة الأصوات بقوله سبحان {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} أي خفضت وخفتت وسكنت من هيبة الله وعظمته، ثم يؤكد ذلك بوصف حالة الصوت وهي أضعف حالاته بقوله {فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} وهي كلمة لها دلالة واضحة في وصف الموقف فالكل في خشوع رغم الازدحام الشديد فالخلائق مجموعون فيه من لدن آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حتى قيام الساعة. فالموقف عظيم له من الهيبة والخشوع ما لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فإن تحدثوا تحدثوا بصوت

(١) مفاتيح الغيب (١٠١/٢٢)

(٢) جامع البيان للطبري (٣٧٤/١٨)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٤/٤)، البحر المحيط في التفسير (٣٨٤/٧)

هامس وهو ما كان من خفي الصوت أو لا يسمع لهم صوت أصلا يخرج من أفواههم وإنما هو صوت خفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر فالكل في حالة اتباع من غير قدرة على الاعتراض أو الالتفات للتحدث والله أعلم.

٣- التخافت

قال تعالى {يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا} [طه: ١٠٣] {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} [القلم: ٢٣] {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠] (خَفَتَ) الْخَاءُ وَالْفَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِسْرَارٌ وَكِتْمَانٌ. فَالْخَفْتُ: إِسْرَارُ النُّطْقِ. (١)

وخفت الصوت خفوتا: سكن والمخافتة: إخفاء الصوت. وخافت بصوته: خفضه. وتخافت القوم إذا تشاوروا سرا؛ والخفت: ضد الجهر (٢) وَالتَّخَافُتُ: تَفَاعُلُ مِنْ خَفَتَ إِذَا أَسَرَّ الْكَلَامَ، الْكَلَامُ الْخَفِيُّ مِنْ خَوْفٍ وَنَحْوِهُ. وَتَخَافُتُهُمْ لِأَجْلِ مَا يَمْلَأُ صُدُورَهُمْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٣)

{يَتَخَافَتُونَ} أَيْ يَتَسَارُّونَ. يُقَالُ: خَفَتَ يَخْفِتُ وَخَافَتَ مُخَافَتَةً وَالتَّخَافُتُ السِّرَارُ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا [طه: ١٠٨] وَإِنَّمَا يَتَخَافَتُونَ لِأَنَّهُ امْتَلَأَتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالْهَوْلِ أَوْ لِأَنَّهُمْ صَارُوا بِسَبَبِ الْخَوْفِ فِي نِهَايَةِ الضَّعْفِ فَلَا يُطِيقُونَ الْجَهْرَ (٤)

(يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ) أَصْلُ الْخَفْتِ فِي اللُّغَةِ السُّكُونُ، ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ خَفَضَ صوته خفته.

تسارون، قاله مجاهد، أي يقول بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي الْمَوْقِفِ سِرًّا (إِنْ لَبِثْتُمْ) أَيْ مَا لَبِثْتُمْ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، وَقِيلَ: فِي الْقُبُورِ(٥) «يَتَخَافَتُونَ» أي: يتشاوَرُونَ فيما بينهم،

(١) مقاييس اللغة (٢٠٢/٢)
(٢) لسان العرب (٣٠/٢)
(٣) التحرير والتنوير (٨٣/٢٩)
(٤) مفاتيح الغيب (٩٨-٩٩)
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١١ - ٢٤٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٨٣/٢)

ويتكلمون خفية[١] يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لشدة هول المطلع.[٢]

جاء لفظ التخافت في الآيات للتعبير عن خفض الصوت والتشاور سرًا. والتخافت تفاعل من خفت إذا أسر الكلام وهو الكلام الخفي بسبب الخوف ونحوه.

والآية تشرح الحالة التي يكون عليها المجرمون عند البعث فهؤلاء يسرون الكلام وينطقون همسًا فلا يجرؤ أحدهم أن يجهر بصوته من هول الموقف المفزع فالخائف لا يستطيع أن يرفع صوته حتى لا يلفت الانتباه إليه، ولا يستدل أحد على مكانه.

وجاء التعبير بـ (يتخافتون) في سورة طه لتصوير حالهم تصويرا دقيقا فليس في وسعهم إلا الهمس من هول الموقف يسر بعضهم إلى بعض بكلام جانبي (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا) أي عشرة أيام في الدنيا ثم يقول بعضهم {إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} [طه: ١٠٤] فانتهت العشرة إلى يوم ثم ينتهي اليوم إلي ساعة في قوله تعالى حكاية عنهم {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُون} [الروم: ٥٥] فهم يرون أن مدة عمرهم في الدنيا كساعة فهم يلتمسون لأنفسهم العذر في الظرف الزمني، وهذا دليل إفلاسهم وقلة الخير الذي قدموه في الدنيا فهم خرجوا منها بلا ثمرة، ولا عمل صالح يشهد لهم عند الله " أو إن هؤلاء المجرمين يتهامسون فيما بينهم في هذا اليوم العصيب، قائلين ما لبثتم في قبوركم إلا عشرا من الليالي أو الأيام. ومقصدهم من هذا القول: استقصار المدة، وسرعة انقضائها، والندم على ما كانوا يزعمونه من أنه لا بعث ولا حساب، بعد أن تبين لهم أن البعث حق، وأن الحساب حق، وأن الأمر على عكس ما كانوا يتوهمون [٣].

أما الآية التي في سورة القلم {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} [القلم: ٢٣] فأصحاب الجنة كانوا يتخافتون عندما أرادوا الذهاب إلى جنتهم حتى لا يراهم أحد ويخفضون

(١) اللباب في علوم الكتاب (٣٨٥/١٣)
(٢) روح المعاني (٥٧٠/٨)
(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي (١٥٠/٩)

أصواتهم فلا يسمع بهم أحد من الفقراء والمساكين كي لا يأخذوا من خير هذه الجنة فكأنهم في مهمة سرية ولذا جاء التعبير القرآني الفريد مصورا لهذا الحدث له دلالته الواضحة بقوله سبحانه {يَتَخَافَتُونَ}

المبحث الثاني
أصوات غير الإنسان

المطلب الأول
الصاخة

قال تعالى {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس: ٣٣]

(صَخَّ) الصَّادُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ. مِنْ ذَلِكَ الصَّاخَّةُ يُقَالُ إِنَّهَا الصَّيْحَةُ تُصِمُّ الْآذَانَ. وَيُقَالُ: ضَرَبْتُ الصَّخْرَةَ بِحَجَرٍ فَسَمِعْتُ لَهَا صَخًّا[١]. الصَّاخَّةُ: شدّة صوت ذي النّطق [٢]. الصاخة هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء. وتقول: صخ الصوت الأذن يصخها صخا. هي الصيحة التي تصخ الأسماع أي تقرعها وتصمها. قال ابن سيده: الصاخة صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها؛ ومنه سميت القيامة الصاخة، يقال كأنها في أذنه صاخة أي طعنة [٣]. وَالصَّاخَّةُ: الصَّيْحَةُ الَّتِي تَكُونُ عَنْهَا الْقِيَامَةُ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ: أَيْ تَصُمُّهَا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا مَا يُدْعَى بِهِ لِلْأَحْيَاءِ. الصَّاخَّةُ الَّتِي تُورِثُ الصَّمَمَ، وَإِنَّهَا لَمُسْمِعَةٌ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْفَصَاحَةِ [٤]، وَسُمِّيَتْ صَاخَّةً لِشِدَّةِ صَوْتِهَا لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْآذَانَ، أَيْ: تُصِمُّهَا فَلَا تَسْمَعُ، قَالَ الْخَلِيلُ: الصَّاخَّةُ: صَيْحَةٌ تَصُخُّ الْآذَانَ حَتَّى تَصُمَّهَا بِشِدَّةِ وَقْعِهَا، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الصَّكِّ الشَّدِيدِ[٥]. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ الصَّخِّ فِي اللُّغَةِ الطَّعْنُ وَالصَّكُّ، فَمَعْنَى الصَّاخَّةِ الصَّاكَّةِ بِشِدَّةِ صَوْتِهَا لِلْآذَانِ [٦]

---

(١) مقاييس اللغة (٢٨١/٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن: ص: ٤٧٦

(٣) لسان العرب (٣٣/٣)

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤/١٩)

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤٦٦/٥)

(٦) مفاتيح الغيب (٦١/٣١)، زاد المسير في علم التفسير (٤٠٣/٤)

فَالصَّاخَّةُ صَارَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ عَلَى حَادِثَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَانْتِهَاءِ هَذَا الْعَالَمِ، وَتَحْصُلُ صَيْحَاتٌ مِنْهَا أَصْوَاتٌ تُزَلْزِلُ الْأَرْضَ وَاصْطِدَامُ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ بِالْأَرْضِ مَثَلًا، وَنَفْخَةُ الصُّورِ الَّتِي تُبْعَثُ عِنْدَهَا النَّاسُ [١] وهي اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ القيامة يصم نبأها الْآذَانَ: الصَّاخَّةُ هِيَ صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ مُسْمِعَةٌ تُصِمُّ عَنِ الدُّنْيَا وَتُسْمِعُ أُمُورَ الْآخِرَةِ. انْتَهَى[٢]. تعددت أوصاف يوم القيامة التي جعلها الله أسماء لها منها قوله تعالى {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس: ٣٣] وهي الصوت الشديد الهائل ذلك الصوت العظيم الذي يصخ الأسماع ويضربها فلا تسمع، وهو لفظ ذو دلالة واضحة على العنف والشدة وأنه نافذ يخرق صماخ الأذن ويفتك بها، ومن أثار هذه الصيحة يفر المرء من أخيه، ويهرب من أمه و أبيه، ومن زوجه وبنيه الذين هم أقرب الناس له، وأحب إليه لأن لكل امرئ شأن يغنيه عن نداء الآخر؛ لاشتغاله بحال نفسه لأنه يفكر في مصيره المحتوم فهذه الصاخة تقطع وشائج الرحم وتمزق روابط الأسرة لهول ذلك اليوم الذي فيه {تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد} [الحج: ٢].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/١٣٤ - ١٣٥)

(٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/٤١٠)

المطلب الثاني
الصيحة

ورد ذكر الصيحة في القرآن الكريم في هذه المواضع قال تعالى:

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} [يس: ٢٩] {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩]

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} [يس: ٥٣]

{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاق} [ص: ١٥]

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر: ٣١]

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [المنافقون: ٤]

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين} [هود: ٦٧]

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤]

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِين} [الحجر: ٧٣] {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} [الحجر: ٨٣]

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون: ٤١] {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} [العنكبوت: ٤٠] {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوج} [ق: ٤٢]

الصَّيْحَةُ: فَعْلَةٌ لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الصِّيَاحِ، يُقَالُ: صَاحَ يَصِيحُ إِذَا صَوَّتَ بِقُوَّةٍ [١]
(صَيَحَ) الصَّادُ وَالْيَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ الْعَالِي. مِنْهُ الصِّيَاحُ، وَالْوَاحِدَةُ

(١) البحر المحيط في التفسير (١٧٢/٦)

مِنْهُ صَيْحَةٌ [١] الصياح: الصوت؛ صوت كل شيء إذا اشتد. صاح يصيح صيحة وصياحا، وصيَّح: صوت بأقصى طاقته [٢] وأصله: تشقيق الصّوت، من قولهم: انْصَاحَ الخشبُ، أو الثّوب، إذا انشقّ، فسمع منه صوت، وصِيحَ الثّوبُ إذا انشقّ، ولمّا كانت الصَّيْحَةُ قد تفزع عبّر بها عن الفزع [٣]. ورد ذكر الصيحة في القرآن الكريم دلالة علي الصوت المرتفع وهذه الصيحة جاءت مُقدمة للدلالة علي ثلاثة أشياء (العذاب – النفخة الأولى – النفخة الثانية) تختلف باختلاف السياق والقصة.

أ- العذاب: و «الصيحة» إنما تجيء مستعملة في ذكر العذاب لأنها فعلة تدل على مرة واحدة شاذة [٤] لذا جاءت كلمة الصيحة دالة على نوع معين من العذاب إلى الأقوام الذين كذبوا أنبيائهم مثل قوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط قال تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٦٧]، {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} [القمر: ٣١]

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤]

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ} [الحجر: ٧٣] {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} [الحجر: ٨٣]

قال الفخر الرازي: ذَكَرُوا فِي الصَّيْحَةِ وَجْهَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الْمُرَادُ الصَّاعِقَةُ الثَّانِي: الصَّيْحَةُ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ هَائِلَةٌ سَمِعُوهَا فَمَاتُوا أَجْمَعُ مِنْهَا فَأَصْبَحُوا وَهُمْ مَوْتَى جَاثِمِينَ فِي دُورِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَجُثُومُهُمْ سُقُوطُهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، يُقَالُ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَصِيحَ بِهِمْ تِلْكَ الصَّيْحَةَ الَّتِي مَاتُوا بِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّه تَعَالَى خَلَقَهَا، وَالصِّيَاحُ لَا يَكُونُ إِلَّا الصَّوْتَ فَإِنْ قِيلَ: فَمَا السَّبَبُ فِي كَوْنِ الصَّيْحَةِ

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٢٤)
(٢) لسان العرب (٢/٥٢١)
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٩٦)
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/١٨٦)

مُوجِبَةً لِلْمَوْتِ؟

قُلْنَا: فِيهِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّ الصَّيْحَةَ الْعَظِيمَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ سَبَبٍ قَوِيٍّ يُوجِبُ تَمَوُّجَ الْهَوَاءِ وَذَلِكَ التَّمَوُّجُ الشَّدِيدُ رُبَّمَا يَتَعَدَّى إِلَى صِمَاخِ الْإِنْسَانِ فَيُمَزِّقُ غِشَاءَ الدِّمَاغِ فَيُورِثُ الْمَوْتَ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا شَيْءٌ مَهِيبٌ فَتَحْدُثُ الْهَيْبَةُ الْعَظِيمَةُ عِنْدَ حُدُوثِهَا وَالْأَعْرَاضُ النَّفْسَانِيَّةُ إِذَا قَوِيَتْ أَوْجَبَتِ الْمَوْتَ الثَّالِثُ: أَنَّ الصَّيْحَةَ الْعَظِيمَةَ إِذَا حَدَثَتْ من السحاب فلا بد وأن يصحبها بَرْقٌ شَدِيدٌ مُحْرِقٌ، وَذَلِكَ هُوَ الصَّاعِقَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-. (١)

وَالصَّيْحَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الصَّوْتِ الشَّدِيدِ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا صَيْحَةُ الصَّاعِقَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِقَوْمِ صَالِحٍ فَأَحْدَثَتْ رَجْفَةً فِي الْقُلُوبِ وَزَلْزَلَةً فِي الْأَرْضِ، وَصُعِقَ بِهَا جَمِيعُ الْقَوْمِ - فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ - أَيْ: سَاقِطِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَصْعُوقِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، شُبِّهُوا بِالطَّيْرِ فِي لُصُوقِهَا بِالْأَرْضِ. (٢) وكانت من قبل ملائكة الله والظاهر أنه إسرافيل لأنه الموكل بصيحة القيامة وهي صيحة عظيمة دونها كل صوت فتقطعت قلوبهم من هولها فهلكوا جميعا وسبب إهلاكهم بالصيحة، لأنهم لم يرقّوا لصياح نبيهم وصياح فصيل الناقة، ولم يرحموا ثغاءه، ولم تلن قلوبهم لصياح أمه حين عقروها، والجزاء من جنس العمل (٣)

ب- النفخة الأولى (نفخة الإماتة)

{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩]

ما ينتظرون إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً وهي النّفخة الأولى. ويَخِصِّمُونَ بمعنى يختصمون(٤)

وَالْمُرَادُ النَّفْخَةُ الْأُولَى الَّتِي يَنْقَضِي بِهَا نِظَامُ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَالْأُخْرَى تَنْشَأُ عَنْهَا النَّشْأَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، فَيَكُونُ أُسْلُوبُ الْكَلَامِ خَارِجًا عَلَى الْأُسْلُوبِ

(١) مفاتيح الغيب (٣٧١/١٨)
(٢) تفسير المنار (١٠٤/١٢)
(٣) بيان المعاني (١٣٤/٣)
(٤) زاد المسير في علم التفسير (٥٢٦/٣)

الْحَكِيمِ إِعْرَاضًا عَنْ جَوَابِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا حَقِيقَةَ الِاسْتِفْهَامِ {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يس: ٤٨] فَأُجِيبُوا بِأَنَّ مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ الْأَجْدَرُ بِأَنْ يَنْتَظِرُوهُ. وَإِسْنَادُ الْأَخْذِ إِلَى الصَّيْحَةِ حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ لِأَنَّهُمْ يَهْلِكُونَ بِصَعْقَتِهَا. وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ قُبِرُوا بَعْدَ الصَّيْحَةِ [١]

وقد ذكروا هاهنا فِي الصَّيْحَةِ أُمُورًا تَدُلُّ عَلَى هَوْلِهَا وَعِظَمِهَا أحدها: التنكير يقال لفلان مال أي كَثِيرٌ وَلَهُ قَلْبٌ أَيْ جَرِيءٌ وَثَانِيهَا: وَاحِدَةٌ أَيْ لَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى ثَانِيَةٍ وَثَالِثُهَا: تَأْخُذُهُمْ أَيْ تَعُمُّهُمْ بِالْأَخْذِ وَتَصِلُ إِلَى مَنْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا عَظِيمًا [٢].

ج- النفخة الثانية (نفخة الإحياء)

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} [يس: ٥٣] {إِنْ كانَتْ}؛ أي: ما كانت تلك النفخة الثانية المذكورة {إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً} لا ثانية لها، صاحها إسرافيل بنفخه في الصور [٣]. {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} [ق: ٤٢]

قوله تعالى: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ وهي هذه النَّفخة الثانية بِالْحَقِّ أي: بالبعث الذي لا شكَّ فيه ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور[٤] وَالصَّوْتَ أَوِ الصَّيْحَةَ وَهِيَ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ وَالْمُنَادِي جِبْرِيلُ. وَقِيلَ: إِسْرَافِيلُ [٥]. (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) يَعْنِي صَيْحَةَ الْبَعْثِ [٦] وَاللَّامُ فِي الصَّيْحَةِ لِلتَّعْرِيفِ، وَقَدْ عُرِفَ حَالُهَا وَذَكَرَهَا اللَّهُ مِرَارًا [٧]، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ جِيءَ بِهِ لِتَهْوِيلِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَأُرِيدَ كَمَالُ الْعِنَايَةِ بِتَمْيِيزِهِ لِاخْتِصَاصِهِ بِهَذَا الْخَبَرِ الْعَظِيمِ. وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ:

---

(١) التحرير والتنوير (٣٤/٢٣)
(٢) مفاتيح الغيب (٢٩٠/٢٦)
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٤٨/٢٤)
(٤) زاد المسير في علم التفسير (١٦٦/٤)
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٧)
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٧)
(٧) مفاتيح الغيب (١٥٦/٢٨)

هُوَ يَوْمُ الْخُرُوجِ. ويَوْمُ الْخُرُوجِ عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ عَلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، أَيِ الْخُرُوجِ مِنَ الْأَرْضِ [١].

يتبين لنا مما سبق أن الصيحة جاءت للدلالة على الصوت المرتفع الذي من شدته كان سببا لهلاك أقوام كذبّوا برسلهم واستهزئوا بأنبيائهم وغفلوا عما أُنذروا به فحق عليهم العذاب الذي تعددت ألوانه فكان منها الصيحة التي أخذت قوم صالح وشعيب ولوط فكل ما يتطلب إرهاب الخَصْم يبدأ بصيحة تُفقِده توازنه الفكري؛ لذا كانت الصيحة: صوت شديد مزعج، وهذا الصوت لا نسمعه إلا بتذبذب الهواء بشدة وتخلخله بقوة كما قال الرازي، ولو كان تذبذب الهواء بلطف ما سميت صيحة. إذن: الصيحة تخلخل في الهواء بشدة؛ لا بد أنْ ينتج عنه رجفة أي: هزة شديدة كالتي تهدم بالبيوت نتيجة قنبلة مثلًا، فالصيحة وُجدت أولًا، تبعتها الرجفة، لكن القرآن مرة يذكر الأصل فيقول (الصيحة) ومرة يذكر النتيجة فيقول (الرجفة). وإنما كانت نتيجة تأثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتية في أعضاء الجسم والتي تتسبب بارتجاف بعض الأعضاء الداخلية للإنسان. والدليل على ذلك أن هذه الرجفة لم تؤثر على المباني وإنما فقط على الإنسان {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤]، وكذلك الصيحة التي يكون بها موت العالم فهي صيحة شديدة عاتية تميت من سمعها والتعبير عنها بالصيحة لأن سماعها واضح لكل ذي أذن ثم تأتي الصيحة الثانية التي تكون للإحياء {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} [ق: ٤٢] والتعبير بالصيحة لشدة الصوت الذي يدعوهم للبعث ومن شدته يُفزع للقيام والحضور بأمر الله لا يتخلف منهم أحد والمعبر عنه في قوله تعالى {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} [ق: ٢٠] يوم الحساب الذي كذبوا به فجاءهم ما كانوا يوعدون وصدق الله {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} [ق: ٤٤].

(١) التحرير والتنوير (٣٣٠/٢٦)

المطلب الثالث

الصعق

ورد لفظ الصعق بمشتقاته في هذه الآيات:

قال تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} [البقرة: ١٩]

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [البقرة: ٥٥]

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: ١٥٣]

{فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الذاريات: ٤٤]

{وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣]

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣]

{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت: ١٧] {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨] {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} [الطور: ٤٥]

(صَعَقَ) الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ صَوْتٍ. مِنْ ذَلِكَ

الصَّعْقُ، وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ [١]. الصَّاعِقَةَ هي الصّوت الشّديد من الجوّ، ثم يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها[٢].

صعق: صعق الإنسان صعقا، فهو صعق: غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة. الصاعقة الموت، ومثل الصاعقة الصوت الشديد من الرعدة يسقط معها قطعة نار، الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد، والصاعقة صيحة العذاب. [٣] والصواعق جمع صاعقة، وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار، تحرق ما أتت عليه [٤]. والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه، من الصعق وهو شدة الصوت، وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد، يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت [٥] الصَّوَاعِقِ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه، وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء [٦]

ويتبين لنا مما سبق: أن الصاعقة عبارة عن صوت شديد يطرق الأذن ويكون مقدمة للموت مثل قوله تعالى {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} [البقرة: ١٩] فالآية توضح أن شدة الصوت جعلتهم يتقون قوته بوضع أصابعهم في آذانهم خوفا وتحرزا من الموت الذي هو نتيجة للصوت الهائل المسموع ومن المعروف أن الذي يُجعل في الآذان عند الخوف والفزع بعض الأصابع لا كلها، إلا أنه عبر بالأصابع مبالغة في شدة فزعهم و فرط اضطرابهم. وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض، أو مقدمة العذاب كقوله تعالى {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣]، أو مقدمة النار كقوله تعالى

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٨٥)
(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٨٥)
(٣) لسان العرب (١٠/١٩٨)
(٤) النكت والعيون (١/٨٢)
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥١)
(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٢٩)

{وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣]

وكان من دعاء النبي عند سماع الصواعق عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ، قَالَ: " اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ ". (١)

(١) سنن الترمذي (٣٨٠/٥)، قال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ

المطلب الرابع

الخوار

ورد ذكر الخوار في آيتين هما:

قال تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} [الأعراف: ١٤٨]

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [طه: ٨٨، ٨٩]

الخوار صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعجل. وقد خار يخور خوارا: صاح [١] ،والخُوَار مختصّ بالبقر [٢]، وهو من الفعل (خَوِرَ) الْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ، وَالْآخَرُ عَلَى ضَعْفٍ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ خَارَ الثَّوْرُ يَخُورُ، وَذَلِكَ صَوْتُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [طه: ٨٨]. وَأَمَّا الْآخَرُ فَالْخَوَّارُ: الضَّعِيفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. [٣]

وَالْعِجْلُ وَلَدُ الْبَقَرَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ ثَوْرًا أي- الْقَرِيبُ الْوِلَادَةِ -، وَذُكِرَ فِي سُورَةِ طه أَنَّ صَانِعَ الْعِجْلِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّامِرِيُّ، وَفِي التَّوْرَاةِ أَنَّ صَانِعَهُ هُوَ هَارُونُ، وَهَذَا مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ الْوَاقِعِ فِي التَّوْرَاةِ بَعْدَ مُوسَى، وَلَمْ يَكُنْ هَارُونُ صَائِغًا [٤] والحُليّ: جمع حَلْيٍ، مثل ثَدْي وثُدِيٍّ، وهو اسم لما يُتحسَّن به من الذهب والفضة، والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط. قال ابن الانباري: ذِكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس [٥].

---

(١) لسان العرب (٢٦١/٤)

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٢)

(٣) مقاييس اللغة (٢٢٧/٢)

(٤) التحرير والتنوير (١٠٩/٩)

(٥) زاد المسير في علم التفسير (١٥٥/٢)

أوضحت الآيتان أن هناك صوتا للعجل يسمى خوار، بعد ذهاب موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لمناجاة ربه مستخلفا عليهم أخاه هارون عبدوا تمثالا على هيئة العجل وصورته، وصوته صوت بقر لا يفيد سامعه وكان مصنوعا من حلي القبط الذي كان معهم، " وَصَنَعَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ صَنَمًا عَلَى صُورَةِ عِجْلٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدِ اعْتَادُوا فِي مِصْرَ عِبَادَةَ الْعِجْلِ «إِيبِيسَ»، فَلَمَّا رَأَوْا مَا صَاغَهُ السَّامِرِيُّ فِي صُورَةِ مَعْبُودٍ عَرَفُوهُ مِنْ قَبْلُ وَرَأَوْهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِأَنَّ لَهُ خُوَارًا، رَسَخَ فِي أَوْهَامِهِمُ الْآفِنَةِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي عَبَّرُوا عَنْهُ بِقَوْلِهِمْ هَذَا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَتَوَهَّمُوا أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْعِجْلِ (إِيبِيسَ) [(١)]". وَكَانَ الَّذِي صَنَعَ لَهُمُ الْعِجْلَ عَارِفًا بِصِنَاعَةِ الْحِيَلِ الَّتِي كَانُوا يَصْنَعُونَ بِهَا الْأَصْنَامَ وَيَجْعَلُونَ فِي أَجْوَافِهَا وَأَعْنَاقِهَا مَنَافِذَ كَالزَّمَّارَاتِ تَخْرُجُ مِنْهَا أَصْوَاتٌ إِذَا أُطْلِقَتْ عِنْدَهَا رِيَاحٌ بِالْكِيرِ وَنَحْوِهِ [(٢)]. وبنو اسرائيل ماديون يميلون إلي الصنمية والوثنية لذا قالوا {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: ١٣٨] ووجد السامري رغبتهم باتخاذ العجل إلها، فصاغه لهم بذكائه من الحلي، فعبدوه وكان هذا العجل أفضل ما يقدمه أن له خوار فاتخذوه إلها ونسوا ربهم الذي أنقذهم من عدوهم ونجاتهم بفلق البحر لهم، وجاء الرد عليهم بالحجة والمنطق {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} لأن معبودهم فاقد لمقومات الإله وهي الكلام الذي يكون به الإرشاد والهداية وهذا دليل على سفه عقولهم لأن معبودهم أقل منهم شأنا وأحط منهم قدرا.

(١) التحرير والتنوير (٢٨٧/١٦)

(٢) التحرير والتنوير (٢٨٦/١٦)

المبحث الثالث

أصوات مشتركة بين الانسان وغيره

المطلب الأول

الشهيق والزفير

ورد لفظ الشهيق والزفير في أربع مواضع هي:

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيق} [هود: ١٠٦]

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُون} [الأنبياء: ١٠٠] {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان: ١٢]

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُور} [الملك: ٧]

(شَهَقَ) الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى عُلُوٍّ. مِنْ ذَلِكَ جَبَلٌ شَاهِقٌ، أَيْ عَالٍ. ثُمَّ اشْتُقَّ مِنْ ذَلِكَ الشَّهِيقُ، (زَفَرَ) الزَّاءُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى حِمْلٍ، وَالْآخَرُ عَلَى صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ. [١] الشهيق: ضِدُّ الزَّفِير، فالشهيق: رَدُّ النَّفس، والزفير: إِخْرَاج النّفَس. وقال ابن منظور:الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه والاسم الزفرة، والجمع زَفَرَات [٢]

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق الزّجّاج: الزَّفِير والشهيق: من أصوات المكْرُوبين، والزفير من شِدَّة الأنين وقبيحِه. والشهيق: الأنين الشَّديد الْمُرْتَفع جدًّا. وَمِنْه يُقَال: شهَق يشهَق: إِذا تنفَّس نفسا عَالِيا، والزَّفير: أَن يَملأ الرجلُ صَدرَه غَمًّا ثمَّ يَزْفِرُ بِهِ. والشَّهِيق: مَدُّ النَّفَس ثمَّ يَرْمِي بِهِ. [٣] فَالزَّفِيرُ: تردّد النّفس حتى تنتفخ الضّلوع منه، وازْدَفَرَ فلان كذا: إذا تحمّله بمشقّة، فتردّد فيه نفسه [٤]

---

(١) مقاييس اللغة (٣/١٤، ٢٢٢)

(٢) لسان العرب (٤/٣٢٥)

(٣) تهذيب اللغة (٥/٢٥٤)، (١٣/١٣٣)

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٨٠)

وقد اشتركت عملية الشهيق والزفير بين النار وأصحابها

أولا : شهيق وزفير أصحاب النار

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيق} [هود: ١٠٦]

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُون} [الأنبياء: ١٠٠]

قال الرازي " الزَّفِيرُ أَنْ يَمْلَأَ الرَّجُلُ صَدْرَهُ حَالَ كَوْنِهِ فِي الْغَمِّ الشَّدِيدِ مِنَ النَّفَسِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ، وَالشَّهِيقُ أَنْ يُخْرِجَ ذَلِكَ النَّفَسَ، وَأَقُولُ إن الْإِنْسَانَ إِذَا عَظُمَ غَمُّهُ انْحَصَرَ رَوْحُ قَلْبِهِ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ فَإِذَا انْحَصَرَ الرَّوْحُ قَوِيَتِ الْحَرَارَةُ وَعَظُمَتْ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى النَّفَسِ الْقَوِيِّ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَدْخِلَ هَوَاءً كَثِيرًا بَارِدًا حَتَّى يَقْوَى عَلَى تَرْوِيحِ تِلْكَ الْحَرَارَةِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ يَعْظُمُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اسْتِدْخَالُ الْهَوَاءِ فِي دَاخِلِ الْبَدَنِ وَحِينَئِذٍ يَرْتَفِعُ صَدْرُهُ وَيَنْتَفِخُ جَنْبَاهُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَالرَّوْحُ الحيواني محصورا في دَاخِلَ الْقَلْبِ اسْتَوْلَتِ الْبُرُودَةُ عَلَى الْأَعْضَاءِ الْخَارِجَةِ فَرُبَّمَا عَجَزَتْ آلَاتُ النَّفَسِ عَنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ الْكَثِيرِ الْمُسْتَنْشَقِ فَيَبْقَى ذَلِكَ الْهَوَاءُ الْكَثِيرُ مُنْحَصِرًا فِي الصَّدْرِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَخْتَنِقَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ وَحِينَئِذٍ تَجْتَهِدُ الطَّبِيعَةُ فِي إِخْرَاجِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ فَعَلَى قِيَاسِ قَوْلِ الْأَطِبَّاءِ الزَّفِيرُ هُوَ اسْتِدْخَالُ الْهَوَاءِ الْكَثِيرِ لِتَرْوِيحِ الْحَرَارَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْقَلْبِ بِسَبَبِ انْحِصَارِ الرُّوحِ فِيهِ، وَالشَّهِيقُ هُوَ إِخْرَاجُ ذَلِكَ الْهَوَاءِ عِنْدَ مُجَاهَدَةِ الطَّبِيعَةِ فِي إِخْرَاجِهِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ شَدِيدٍ وَغَمٍّ عَظِيمٍ " (١).

يبين الله في هذه الآيات حال الأشقياء في النار بأن لهم شهيق وزفير وهما يجسدان عملية التنفس دخولا وخروجا ولكن عندما تزداد عملية التنفس عن معدلاتها الطبيعية يصاحبها صوت مسموع لأن التنفس يكون سريعا من حالة الخوف والهلع الذي يعيشون فيه داخل النار والعذاب المحيط بهم، ومن أسباب ارتفاع صوت أنفاسهم المكروبة أنهم يأخذون الهواء ساخنا لأنهم في النار فلا فائدة فيه كذلك يخرجونه كما أخذوه فلا جدوى منه غير العذاب المتجدد كقوله تعالى {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُم} [محمد: ١٥] و {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ

(١) مفاتيح الغيب (١٨/٤٠٠)

بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٢٩] فلهم فيها من ضيق الأنفاس وحرج الصدور وشدة الكروب ما يتمنون به الموت العاجل{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧] وفي قوله سبحانه {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء: ١٠٠] تضيف الآية أنهم لا يسمعون لشدة العذاب وهول الموقف وانشغالهم بحالهم فلا يلتفتون لنداء ولكنهم في بكاء ورجاء.

ثانيًا: شهيق وزفير النار

أ-زفير النار: قال تعالى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان: ١٢] وَالتَّغَيُّظُ: شِدَّةُ الْغَيْظِ. وَالْغَيْظُ: الْغَضَبُ الشَّدِيدُ، فَصِيغَةُ التَّفَعُّلِ هُنَا الْمَوْضُوعَةُ فِي الْأَصْلِ لِتَكَلُّفِ الْفِعْلِ مُسْتَعْمَلَةٌ مَجَازًا فِي قُوَّتِهِ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّفَ لِفِعْلٍ يَأْتِي بِهِ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ.

وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا صَوْتُ الْمُتَغَيِّظِ، بِقَرِينَةِ تَعَلُّقِهِ بِفِعْلِ: سَمِعُوا فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ.

وَالزَّفِيرُ: امْتِدَادُ النَّفَسِ مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَضِيقِ الصَّدْرِ، أَيْ صَوْتًا كَالزَّفِيرِ فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ أَيْضًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ لِجَهَنَّمَ إِدْرَاكًا لِلْمَرْئِيَّاتِ بِحَيْثُ تَشْتَدُّ أَحْوَالُهَا عِنْدَ انْطِبَاعِ الْمَرْئِيَّاتِ فِيهَا فَتَضْطَرِبُ وَتَفِيضُ وَتَتَهَيَّأُ لِالْتِهَامِ بَعْضِهَا فَتَحْصُلُ مِنْهَا أَصْوَاتُ التَّغَيُّظِ وَالزَّفِيرِ فَيَكُونُ إِسْنَادُ الرُّؤْيَةِ وَالتَّغَيُّظِ وَالزَّفِيرِ حَقِيقَةً، وَأُمُورُ الْعَالَمِ الْأُخْرَى لَا تُقَاسُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُتَعَارَفَةِ فِي الدُّنْيَا [١]

قال الآلوسي: وإسناد الرؤية إليها حقيقة على ما هو الظاهر وكذا نسبة التغيظ والزفير فيما بعد إذ لا امتناع في أن يخلق الله تعالى النار حية مغتاظة زافرة على الكفار فلا حاجة إلى تأويل الظواهر الدالة على أن لها إدراكا كهذه الآية [٢].

ب- شهيق النار {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ} [الملك: ٧]

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إذا أُلْقُوا فِيها) يَعْنِي الْكُفَّارَ. (سَمِعُوا لَها شَهِيقًا) أَيْ صَوْتًا. قَالَ ابْنُ

(١) التحرير والتنوير(٣٣٣/١٨)

(٢) روح المعاني(٤٣١/٩)

عَبَّاسٍ: الشَّهِيقُ لِجَهَنَّمَ عِنْدَ إِلْقَاءِ الْكُفَّارِ فِيهَا، تَشْهَقُ إِلَيْهِمْ شَهْقَةَ الْبَغْلَةِ لِلشَّعِيرِ، ثُمَّ تَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ (١).

وصف الله النار بأنها بمجرد رؤية الكافرين من بعيد سمعوا لها غليانا والتعبير بقوله- تعالى-: {مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ} يزيد هذه الصورة رعبا وخوفا وهلعا، لأنها لم تنتظرهم إلى أن يصلوا إليها ويدخلوها، بل هي بمجرد أن تراهم عن بُعد يُسمع لها تغيظا وزفيرا من شدة غضبها منهم، وفرحها بإلقائهم فيها. كأنها في حالة استعداد واحتفال بأصحابها، وهذا الاستعداد وتلك الحفاوة تليق بأصحاب النار فالنار منفعلة وغاضبة من هؤلاء المجرمين الذين كفروا بالله وكذبوا رسله فهي في حالة غيظ شديد تتميز به ويظهر لهم، وتأتي المرحلة الثانية وهي إلقائهم في النار {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُور} سمعوا لها صوتا عاليا مرتفعا تناديهم به فهي في حالة استعداد تام لالتهامهم ومتحفزة للانقضاض عليهم وكأنها في انتظارهم في حالة من الغيظ الشديد والحنق العظيم فترتفع أنفاسها شهيقا وهي تفور بهم من شدة غليانها وعظيم سعيرها فترتفع ألسنة لهيبها لأنها مبغضة وكارهة لأعداء الله، وهي تعبيرات صريحة مباشرة تُزلزل النفوس وتُخيف القلوب {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧]

وبمجموع الآيات الواردة في الزفير والشهيق نجد أنها صفة مشتركة للنار وأصحابها يختلط زفيرهم بزفيرها وشهيقها بشهيقهم والجزاء من جنس العمل.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٨)

المطلب الثاني

الصر – الصرصر – الصرة

وردت كلمة (الصِر – الصَرصَر – الصِرّة) في هذه الآيات:

قال تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: ١١٧]

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} [فصلت: ١٦]

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر: ١٩]

{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة: ٦]

{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم} [الذاريات: ٢٩]

ريح صر وصرصر: شديدة البرد، و: شديدة الصوت. وفي قوله تعالى:{مثل ريح فيها صر}، فيها ثلاثة أقوال: أحدها فيها صر أي برد، والثاني فيها تصويت وحركة، وروي عن ابن عباس فيها صر، قال: فيها نار. وصر النبات: أصابه الصر. وصر يصر صرا وصريرا وصرصر: صوَّت وصاح أشد الصياح. وقوله تعالى: {فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها}

قال الزجاج: الصرة أشد الصياح، والصرة: الضجة والصيحة. والصر: الصياح والجلبة [١] الصَّرَّةُ: شِدَّةُ الصِّيَاحِ [٢]

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: ١١٧]

وَالصِرُّ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ. قِيلَ: أَصْلُهُ مِنَ الصَّرِيرِ الَّذِي هُوَ الصَّوْتُ، فَهُوَ صَوْتُ الرِّيحِ

(١) لسان العرب (٤/٤٥٠ - ٤٥١)

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٨٣)

الشَّدِيدَةِ [١]

هو في الأصل صوت الريح الباردة من صر القلم والباب صريرا إذا صوت، أو من الصرة الضجة والصيحة [٢]

قَالَ الرازي في تفسيره: {فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} وَفِي الصَّرْصَرِ قَوْلَانِ أحدهما: أنها العاصفة التي تصرصر أن تُصَوِّتُ فِي هُبُوبِهَا، وَفِي عِلَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وُجُوهٌ قِيلَ إِنَّ الرِّيَاحَ عِنْدَ اشْتِدَادِ هُبُوبِهَا يُسْمَعُ مِنْهَا صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الصَّرْصَرِ فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الرِّيَاحُ بِهَذَا الِاسْمِ وَقِيلَ هُوَ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ، وَقِيلَ مِنَ الصَّرَّةِ وَالصَّيْحَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ}[الذَّارِيَاتِ: ٢٩] وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا الْبَارِدَةُ الَّتِي تُحْرِقُ بِبَرْدِهَا كَمَا تُحْرِقُ النَّارُ بِحَرِّهَا، وَأَصْلُهَا مِنَ الصَّرِّ وهو البرد قال تعالى: {مَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ} [آلِ عِمْرَانَ: ١١٧] [٣]

وصف الله -عَزَّوَجَلَّ- الريح التي أُرسلت عقابا إلي قوم عاد بأنها (صرصر) وهي تعني الريح الشديدة التي اقتلعتهم من بيوتهم، ومن أوصافها شديدة القوة عظيمة الصوت قوية الهبوب عاصفة مدمرة، وذلك لأنهم عتوا عن أمر ربهم (وقالوا من أشد منا قوة) فأرسل الله عليهم جندا من جنوده وهي الريح الصرصر فصوتها مخيف وعملها عنيف فكانت تجذبهم وتحطمهم فصاروا أبدانا بلا رؤوس فهم صرعى كأنهم أعجاز نخل مهشمة مقلوعة من قعورها، ومن بلاغة القرآن وصفها بصرصر فهي مكونة من مقطعين فإذا كانت (صر) فهي تهب لمرة واحدة وإذا كانت(صرصر)

فهي متكررة فقد تكررت عليهم سبع ليال وثمانية أيام من غير انقطاع ولا هدنة فهي عاتية جاوزت الحد لشدة هولها، وطول زمنها فأفنتهم وأذهبتهم وأصبحوا أثرا بعد عين فاجتمع عليهم المقدمة وهي الصوت المفزع المزعج الذي صاحب شدة الريح العاتية فكانت النتيجة الهلاك الساحق والعذاب الأليم في الحياة الدنيا ولعذاب الأخرة أشد

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/٤-١٧٨)
(٢) روح المعاني (٢٥٢/٢)
(٣) مفاتيح الغيب (٥٥٣/٢٧)

وأبقى. وجاء التعبير بـ(صرة) التي تفيد شدة الصوت والصياح والضجة في قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} " أَيْ فِي صَرْخَةٍ عظيمة ورنّة " [١] فكان صياحها للتعجب بل تعدى الأمر الصوت إلي الفعل وهو صك الوجه؛ لأن الأسباب تمنع وهي أنها عجوز في زمن البشارة وعقيم في شبابها لكن المعطي هو الله وهو المسبب وخالق الأسباب فسبحانه مقدر الأقدار والرازق من غير حساب فعطائه غير مجذوذ ورزقه سبحانه ماله من نفاد.

وعلى ذلك يكون لفظ (الصر والصرصر) يكون للريح و (الصرة) تكون للإنسان وهي الصرخة والصيحة التي صاحت بها زوجة ابراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

(١) تفسير ابن كثير ط (٣٩٣/٧)

الخاتمة

نسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه ترفع الدرجات، وبعفوه تغفر السيئات، ثم الصلاة الدائمة الكاملة على نبي الرحمة من المحيا إلي الممات.

أما بعد،،،،،،،،،،

فهذه خاتمة البحث وفيها خلاصة ما كُتب، وتلخيص ما سبق، وبها أهم النتائج والتوصيات.

- الاتصال البشري ضرورة إنسانية واجتماعية بين الناس، لأن الإنسان له من الحاجات والرغبات التي لابد من تحقيقها وذلك يكون بالتواصل فيما بينهم.
- أول وسائل الاتصال الإنساني الاتصال الناطق (الكلام) وهو الاتصال الذي يكون عبر استخدام الكلمات المنطوقة والألفاظ المفهومة بين البشر.
- الصوت هو العنصر الأول من وسائل التواصل الاجتماعي، وهو الوسيلة الأولى في التعبير عن المواقف والانفعالات والعواطف.
- إذا كانت مادة الدلالة اللسانية هي الصوت اللغوي فإن الصوت اللغوي ينطلق أساسا من دلالته علي المعاني التي انتدب لبيانها والتعبير عنها وتصويرها؛ فالدلالة اللغوية منطلق صوتي، والصوت اللغوي منطلق دلالي.
- استعمل القران الكريم جملة من الألفاظ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، ليستوحي دلالاتها من حسن صياغتها، فكانت دالة بذاتها على ذاتها.
- جاء القرآن الكريم موضحا الدلالة الصوتية لكل صوت فهي معبرة عن حالة المتكلم في إنتاج الدلالة التصويرية التي يعجز عنها البشر.
- الأداء الصوتي يدل دلالة واضحة على حالة المتكلم فبين الحالة النفسية والصوت مناسبة واجبة وملازمة تامة.

- ذكر القرآن الكريم بعض النبرات الصوتية في المواقف الاتصالية الصادرة عن المتكلم من حيث درجته وحجمه وإيقاع هذا الصوت له معان عميقة ورسائل دقيقة في توصيل المفهوم في أبلغ صورة.
- ذكر الله في القرآن الكريم أصواتا تحمل رسائل اتصالية مستقلة عن اللغة اللفظية تدل بذاتها على ذاتها مثل الأف والتأوه والجأر والزفير والشهيق إلي غيرها من الأصوات المعبرة.
- الصوت سلاح عظيم كان سببا في إبادة أقوام عتوا عن أمر ربهم والمعبر عنه بالصيحة وهي التي أفنت مدين وثمود وقوم لوط معبرًا عنها بالصوت الشديد.
- جاء في القرآن الكريم الصوت الإنساني على حالتين المستوى الصوتي المرتفع والمستوى الصوتي المنخفض وكل مستوى له دلالة على حالة الإنسان والموقف الذي يكون فيه وفي ذلك أثر في إنتاج الدلالة التصويرية للمشهد والمتكلم.
- المستوى الصوتي المرتفع للإنسان يشمل الصراخ، المكاء والتصدية، النعق، التأفف والانتهار، الجأر، التأوه.
- المستوى الصوتي المنخفض للإنسان يشمل الركز، الهمس، التخافت.
- ورد لفظ (أواه) وهو صيغة مبالغة على وزن فَعَّال والتأوه مشتق من الصوت (آه) الذي يعبر به الإنسان عن التوجع والألم ولا يشترط أن يكون الألم حسيا ولكن كثيرا ما تكون هذه اللفظة تعبيرا عن الألم المعنوي.
- ورد ذكر الصيحة في القرآن الكريم دلالة علي الصوت المرتفع وهذه الصيحة جاءت مُقدمة للدلالة علي ثلاثة أشياء (العذاب – النفخة الأولى – النفخة الثانية) تختلف باختلاف السياق والقصة.
- الصَّاعِقَةَ هي الصّوت الشّديد من الجوّ، ثم يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها.

- بمجموع الآيات الواردة في الزفير والشهيق نجد أنها صفة مشتركة للنار وأصحابها يختلط زفيرهم بزفيرها وشهيقها بشهيقهم لما بينهما من تفاعل وتجانس.
- لفظ (الصر والصرصر) يكون للريح و (الصرة) تكون للإنسان وهي الصرخة والصيحة فمادة (صر) مشتركة مع الريح والانسان.
- من أهمية الصوت في عصرنا الحاضر استخدامه في المجال الطبي والفيزيائي حتى أنه يعد وحدة للقياس (سرعة الصوت)
- عمل معجم موسوعي صوتي للكلمات والحروف في القرآن الكريم، وبيان أثر ذلك في علم اللغة.

أسأل الله العظيم أن يجعل ذلك العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم، وأن يحشرنا في زمرة المتقين، وأن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين، وأن يشفع فينا سيد المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم – جلّ من أنزله

١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣- إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٤- البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧- بيان إعجاز القرآن للخطابي، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن سلسلة: ذخائر العرب، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.

٨- بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.

٩- البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر ابن محمد ابن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الناشر، الدار التونسية، للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٢- تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن غالب ابن عبد الرحمن ابن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٣- تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي، البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٤- تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٥- تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد ابن عمر ابن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

١٦- تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود ابن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

١٧- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد ابن جرير ابن يزيد ابن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٩- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٠- تفسير الماوردي النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان.

٢١- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢٣- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ محمد الأمين ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي ابن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٤- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٥- الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٢٦- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٧- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٢٩- سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣١- صحيح البخاري(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -H- وسننه وأيامه)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -H-) لمسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المؤلف: محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: طبعة ٢ - القاهرة ١٩٩٧.

٣٤- فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى:٩٢٧ هـ)، الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٥- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.

٣٦- الفراسة، لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق وتعليق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، مصر.

٣٧- فقه اللغة وسر العربية، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٣٩- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٤٠- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٤١- المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٢- معاني القرآن، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٤٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المؤلف: إبراهيم ابن السري ابن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٥- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ،المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

Sources and references

The Holy Qur'an - glory be to Him who revealed it

1-Anwar Al-Tanzeel Wa Asrar Al-Taawel, author: Nasser al-Din Abu Sa`id Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (died: 685 AH), editor: Muhammad Abdul Rahman al-Marashli, publisher: Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi, Beirut, first edition - 1418 AH.

2-Ejaz Al-Bayan 'An Ma'ani Al-Qur'an, author: Mahmoud bin Abi Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Naysaburi Abu Al-Qasim, Najm Al-Din (died: about 550 AH), editor: Prof. Hanif bin Hassan Al-Qasimi, publisher: Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, edition: first - 1415 e.

3-Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir, author: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (died: 745 AH), editor: Sidqi Muhammad Jamil, publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, edition: 1420 AH.

4-Bayan E'jaz Al-Qur'an by Al-Khattabi, author: Abu Suleiman Hamad bin Muhammad bin Ibrahim bin Al-Khattab Al-Basti, known as Al-Khattabi (died: 388 AH), investigator: Muhammad Khalaf Allah, Prof. Muhammad Zaghloul Salam, printed in: Three Treatises on the Miracle of the Qur'an, Series: Arab Relics, Publisher: Dar Al-Maaref in Egypt, Third Edition, 1976 AD.

5-Bayan Al-Ma'ani, author: Abdul Qadir bin Mulla Huwaish Al-Sayyid Mahmoud Al Ghazi Al-Ani (died: 1398 AH), publisher: Al-Tarqi Press - Damascus, first edition, 1382 AH - 1965 AD.

6-Taj Al-'Arous Min Jawahir Al-Qamous, author: Muhammad bin Muhammad bin Abdul-Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, Al-Zubaidi (died: 1205 AH), editor: A group of editors, publisher: Dar Al-Hidaya.

7-Al-Tahrir Wa Al-Tanwir "Tahrir Al-Ma'na Al-Saded Wa Tanwer Al-'Aql Al-Jaded Min Tafser Al-Kitab Al-Majed". Author: Muhammad Al-Tahir Ibn Muhammad Ibn Muhammad Al-Tahir Ibn Ashour Al-Tunisi, Publisher, Al-Dar Al-Tunisia, for Publishing - Tunisia, Year of Publication: 1984 AH.

8-Tafsir Ibn Atiyyah Al-Moharir Al-Wajez Fii Tafsir Al-Kitab Al-'Aziz, by Abu Muhammad Abd al-Haqq Ibn Ghalib Ibn Abd al-Rahman Ibn

Tammam Ibn Atiyya al-Andalusi al-Muharbi, edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, Edition: First - 1422 AH.

9-Tafsir Ibn Katheer, Tafser Al-Qur'an Al-'Azem, by Abu Al-Fida Ismail Ibn Omar Ibn Katheer Al-Qurashi, Al-Basri, then Al-Dimashqi (died: 774 AH), edited by: Sami Ibn Muhammad Salama, publisher: Dar Taiba for Publishing and Distribution, second edition, 1420 AH - 1999 AD.

10-Tafsir Al-Alusi, Roh Al-Ma'ani Fi Tafser Al-Qur'an Al-'Azem Wa Al-Sab' Al-Mathani, author: Shihab Al-Din Mahmoud Ibn Abdullah Al-Husseini Al-Alusi (died: 1270 AH), editor: Ali Abdul Bari Atiya, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1415 AH.

11-Tafser Al-Razi Mafateh Al-Ghayb Aw Al-Tafser Al-Kaber, by Abu Abdullah Muhammad Ibn Omar Ibn Al-Hasan Ibn Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, the Khatib Al-Ray, Publisher: Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Third Edition - 1420 AH.

12-Tafser Al-Zamakhshari Al-Kashaf 'An Haqaaiq Ghawamed Al-Tanzel, by Abu Al-Qasim Mahmoud Ibn Amr Ibn Ahmad, Al-Zamakhshari Jar Allah (died: 538 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, Third Edition - 1407 AH.

13-Tafsir Al-Tabari, Jami' Al-Bayan Fi Taawel Al-Qur'an, by Muhammad Ibn Jarir Ibn Yazid Ibn Kathir Ibn Ghalib al-Amli, Abu Jaafar al-Tabari, edited by: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, first edition, 1420 AH - 2000 AD.

14-Tafser Al-Qur'an Al-Hakim (Tafser Al-Manar), author: Muhammad Rashid Reda (died: 1354 AH), publisher: Egyptian General Book Authority, year of publication: 1990 AD.

15-Tafser Al-Qurtubi Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, by Abu Abdullah Muhammad Ibn Ahmad Ibn Abi Bakr Ibn Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi, edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, Egyptian Book House - Cairo, Second Edition, 1384 AH - 1964 AD.

16-Tafsir Al-Mawardi, Al-Nokat Wa Al-'Oyoun, author: Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi,

famous for Al-Mawardi (died: 450 AH), editor: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud bin Abd al-Rahim, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon.

17-Tafsir Al-Nasafi (Madarek Al-Tanzel Wa Haqaaiq Al-Taawel), author: Abu al-Barakat Abdullah bin Ahmad bin Mahmoud Hafez al-Din al-Nasafi (died: 71 AH), edited and produced by its hadiths: Yusuf Ali Badawi, reviewed and presented to him by: Muhyiddin Deeb Masto, publisher: Dar Al-Kalam Al-Tayeb, Beirut, first edition, 1419 AH - 1998 AD.

18-Al-Tafser Al-Waset Lil-Qur'an Al-Karem, Author: Professor Dr. Muhammad Sayyid Tantawi, Sheikh of Al-Azhar, Publisher: Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Al-Fagala - Cairo, Edition: First.

19-Tafser Hadaaiq Al-Roh Wa Al-Rayhan Fi Rawabi 'Olom Al-Qur'an, author: Sheikh Muhammad Al-Amin Ibn Abdullah Al-Armi Al-Alawi Al-Harari Al-Shafi'i, supervision and review: Prof. Hashim Muhammad Ali Ibn Hussein Mahdi, publisher: Dar Touq Al-Najat, Beirut - Lebanon, edition: first, 1421 AH - 2001 AD.

20-Tahtheb Al-Lughah, Author: Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (died: 370 AH), Editor: Muhammad Awad Marib, Publisher: Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Edition: First, 2001 AD.

21-Khasaais Al-Ta'ber Al-Qur'ani Wa Sematoh Al-Balagheiyah, author: Abd al-Azim Ibrahim Muhammad al-Mutani (died: 1429 AH), publisher: Wahba Library, edition: first, 141 AH - 1992 AD.

22-Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir, by Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman Ibn Ali Ibn Muhammad al-Jawzi, editor: Abd al-Razzaq al-Mahdi, publisher: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, first edition - 1422 AH.

23-Al-Siraj Al-Munir Fi Al-E'ana 'Ala Ma'rifat Ba'd Ma'ani Kalam Rabna Al-Hakim Al-Khaber, Author: Shams Al-Din, Muhammad bin Ahmad Al-Khatib Al-Shirbini Al-Shafi'i (died: 977 AH), Publisher: Boulaq Press (Al-Amiriya) - Cairo, Year of Publication: 1285 AH

24-Sunan Al-Tirmithi, called Al-Jami' Al-Sahih, author: Muhammad bin Isa bin Sura bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Issa (died:

279 AH), editor: Bashar Awad Ma'rouf, publisher: Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, year of publication: 1998 AD.

25-Al-Sihah Taj Al-Lughah Wa Sahah Al-Arabia, Author: Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi (died: 393 AH), edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Publisher: Dar Al-Ilm Lil-Millain - Beirut, Edition: Fourth 1407 AH - 1987 AD.

26-Sahih Muslim (Al-Musnad Al-Sahih Al-Mokhtasar Benaql Al-'Adl 'An Al-'Adl Ela Rasol Allah, may God bless him and grant him peace) by Muslim Ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi, (died: 261 AH), edited by: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi – Beirut.

27-'Elm Al-Lughah Moqadimah LilQari' Al-'Arabi, Author: Mahmoud Al-Saran, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Arabi, Edition: 2nd Edition - Cairo 1997.

28-Fath Al-Rahman Fi Tafsir Al-Qur'an, author: Mujir al-Din bin Muhammad al-Ulaimi al-Maqdisi al-Hanbali (died: 927 AH), publisher: Dar al-Nawader, first edition, 143 AH - 2009 AD.

29-Fath al-Qadir, author: Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani (died: 1250 AH), publisher: Dar Ibn Katheer, Dar al-Kalam al-Tayyib - Damascus, Beirut, edition: first 1414 AH.

30-Al-Farasa, by Abu Abdullah Fakhr al-Din Muhammad bin Omar al-Razi, edited by Prof. Youssef Murad, Egyptian Book Authority Press, Egypt, 1982 AD.

31-Fiqh Al-Lughah Wa Ser Al-'Arabia, author: Abd al-Malik bin Muhammad bin Ismail Abu Mansour al-Tha'alabi (died: 429 AH), editor: Abd al-Razzaq al-Mahdi, publisher: Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi, edition: first edition 1422 AH - 2002 AD.

32-Lobab Al-Taawel Fi Ma'ani Al-Tanzel, Author: Aladdin Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar Al-Shehi Abu Al-Hasan, known as Al-Khazen (died: 741 AH) Correction: Muhammad Ali Shaheen, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First, 1415 AH.

33-Al-Lubab fi Ulum al-Kitab, author: Abu Hafs Siraj al-Din Omar bin Ali bin Adel al-Hanbali al-Dimashqi al-Numani (died: 775 AH), editor: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad

Moawad, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut/Lebanon, ed. : The first, 1419 AH - 1998 AD.

34-Lisan Al-Arab, author: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (died: 711 AH), publisher: Dar Sader - Beirut, edition: third - 1414 AH.

35-Ma’ani Al-Qur’an, author: Abu Jaafar al-Nahhas Ahmad bin Muhammad (died: 338 AH), editor: Muhammad Ali al-Sabouni, publisher: Umm al-Qura University - Mecca, edition: first, 1409.

36-Ma’ani Al-Qur’an Wa E’raboh by Al-Zajjaj, Author: Ibrahim Ibn Al-Sari Ibn Sahl, Abu Ishaq Al-Zajjaj (died: 311 AH), Editor: Abd al-Jalil Abdo Shalabi, Publisher: Alam al-Kutub - Beirut, Edition: First 1408 AH - 1988 AD.

37-Mo’jam Maqaies Al-Lughah, author: Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, Abu al-Hussein (died: 395 AH), editor: Abdul Salam Muhammad Haroun, publisher: Dar al-Fikr, year of publication: 1399 AH - 1979 AD.

38-Al-Mufradat Fi Ghareeb Al-Qur’an, author: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (died: 502 AH)0, editor: Safwan Adnan Al-Daoudi, publisher: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, edition: first - 1412 AH.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع الصفحة
مقدمة ٢٦١
مدخل ٢٦٧
المبحث الأول: صوت الانسان ودلالته ٢٧١
المطلب الأول: المستوي الصوتي المرتفع ٢٧١
المطلب الثاني: المستوى الصوتي المنخفض ٢٨٥
المبحث الثاني: أصوات غير الإنسان ٢٩١
المطلب الأول: الصاخة ٢٩١
المطلب الثاني: الصيحة ٢٩٣
المطلب الثالث: الصعق ٢٩٨
المطلب الرابع: الخوار ٣٠١
المبحث الثالث: أصوات مشتركة بين الانسان وغيره ٣٠٣
المطلب الأول: الشهيق والزفير ٣٠٣
المطلب الثاني: الصر – الصرصر – الصرة ٣٠٧
الخاتمة ٣١٠
المصادر والمراجع ٣١٣
فهرس الموضوعات ٣٢٣